شَرْحُ

الدُّرَّةُ الْمُخْتَصَرَةُ

فِي

مَحَاسِنِ الدِّينِ الإِسْلَامِي

لِلْعَلَّامَةِ:

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رَحِمَهُ اللَّهُ

لِمعَالِي الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

سليمان الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

المجلس (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بعد؛

فأُرحِّبُ بإخواني في هذه المجالس العلمية لشرحِ الرسالةِ المُختصرة في محاسن الإسلام التي سماها الإمامُ السعديُّ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (بالدُرةِ المُختصرة في محاسن الدين الإسلامي)، وقد اخترتُ لهذا البرنامجِ هذا الوقتَ –أعني: قبل الظهرِ وبعد الظُهرِ مع بعد العصر–، لنعمرَ مسجدَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعلمِ في هذه الوقتِ الذي لا توجدُ فيه دروس، رجاءَ أن نفوزَ بالأجرِ الكريم والفضلِ العظيم، بهذا العمل فنسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يُحققَ لنا هذا الأمل وأن يزيدنا من فضلهِ أضعافَ أضعافَ ما نرجو.

معاشر الإخوة نشرعُ في شرحِ رسالةٍ قصيرة المبنى، عظيمةِ المعنى، صغيرة الحجمِ غزيرة العلم، في موضوعٍ من أنفعِ موضوعات العلم وأجملِ مباحث العلم ألا وهي (رسالة الدُرةِ المخُتصرة في بيان محاسن الدين الإسلامي) للإمامِ المُفسرِ الفقيهِ الأصوليِ المتفنن: عبد الرحمن بن ناصر بن سِعدي السَعدي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر عُلماء المسلمين.

ومحاسنُ الدين هي كمالُ الدينِ وجمالهُ والحكمُ التي أرادها الله عَزَّ وَجَلَّ من الشرعِ لتحقيقِ عبوديته وإصلاح العبادِ في العاشِ والمعاد.

ما هي محاسنُ الإسلام؟

ما هي محاسنُ الدين؟

ما الذي يُريدهُ العلماء بقولهم: هذا من محاسن الدين؟ أو هذه محاسنُ الدين؟

☜ **محاسنُ الدينِ هي:** كمالُ الدينِ وجمالهُ في كُلياتهِ وجزئياتهِ، والحكمُ التي أرادها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من الشرعِ لتحقيقِ عبوديته وإصلاح العبادِ في المعاشِ والمعاد.

كمالُ الدين، هذا الدينُ دينٌ كامل في كُلياتهِ وجُزئياته، أكملهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فإذا نظرتَ إلى أصولِ هذا الدين **وجدتها في غاية الكمالِ، لا ترىٰ فيها شيئًا تقول: لو أنه زِيدَ فيهِ كذا لكان كذا. وتجدُها أيضًا لا تقبلُ الزيادة.**

وكذلك إذا نظرتَ إلى جُزئيات الدين، فنظرتَ إلى الصلاةِ ونظرتَ إلى الزكاةِ والصومِ والحجِ والبِرِ والمعاملاتِ، وغيرِ ذلك، وجدتها في غايةِ الكمال والجمال، فعليها بهاءٌ وجمال؛ فهذا من محاسن الدين.

فإذا تكلمنا عن محاسن الدين فإنا نُبرزُ كمالهُ في كُلياتهِ وفي جُزئياتهِ، ونُبرزُ جمالهُ وحُسنهُ الذي فاقَ به كُلَّ ما عندَ الناس، والحكمُ التي أرادها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ إنما شرعَ لحكمة، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو الحكيمُ العليم، لا يشرعُ شيئًا إلا لحكمة، وأردَ هذه الحكم، كما هو عقيدةُ أهل السُّنّةِ والجماعة، فكُلُّ ما في الشرعِ فيه حكمٌ أرادها الله عَزَّ وَجَلَّ.

قلنا: لتحقيقِ عبوديتهِ هذه الحكمةُ العُظمىٰ التي تعودُ إلىٰ المخلوقين أن يُحقق العبدُ عبوديتهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ. الإنسانُ إنما خُلقَ ليعبدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والعبدُ إنما يُحقق عبوديتهُ لله عَزَّ وَجَلَّ بلزومِ شرعِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالحكمةُ العظمى التي تعودُ إلى المخلوقين من التشريع هي تحقيقُ عبودية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وهذه الحكمةُ كافيةٌ للمسلم ليمتثلَ الأوامرَ ويجتنب النواهي، فإذا أمرانا اللهُ بشيءٍ فإنا نعلمُ أن الحكمةَ العُظمى منه أن نُحقق عبوديتنا للهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فنمتثلُ لنُحقق هذه الحكمة، وإذا نهانا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن شيءٍ فإنا نعلمُ أن الحكمةَ العُظمى من هذا أن نُحقق عبوديتنا لله عَزَّ وَجَلَّ.

وبهذا ينطفعُ سبيلُ الشيطانِ للإنسان، فلا يأتيه الشيطانُ ويقولُ له: لا تفعل حتى تعرف الحكمة، لما كذا؟ لأن الجوابَ: أنهُ ليُحقق عبوديتهُ لله عَزَّ وَجَلَّ.

وإصلاح العبادِ؛ فشرعُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فيه إصلاحُ العبادِ، فليس عبوديةَ محضة، بل مع تحقيق العبودية فيهِ الصلاحُ للعبادِ فيجلبُ لهم المصالحَ والمنافع، ويدرأُ عنهم المفاسد في المعاشِ -أي في الدنيا-، والمعادِ -أي في الآخرة-، فمصالحُ الإسلامِ ومنافعُ الإسلام ليست مقصورةً على الآخرةِ وليست مقصورةً على

الدنيا، بل هي في الدنيا والآخرة، فالإسلامُ جاء لإصلاح الدنيا وعدم الإفسادِ فيها، ولإصلاح الآخرة؛ بأن يكونَ الإنسانُ فيها من أهلِ الجنة.

فمن محاسن الدين الحكمُ والمصالحُ والمنافعُ التي تعودُ على العباد في دُنياهم وفي أُخراهم، فما من شيءٍ في شرع اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلا وفيه للعبادِ منفعة.

إذًا يا إخوة، إذا أمرنا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بشيءٍ فإنا نعلمُ أولاً أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحبهُ ويُحبُ وقوعهُ ويُريدُ شرعاً وقوعهُ، ونعلمُ أن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أرادَ منه أن نُحققَ عبوديتنا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بامتثالِ الأمرِ، كما نعلمُ يقيناً أن فيهِ منفعةً لنا، وأن في تركهِ مضرةً علينا، قد نعلمُ هذه المنفعة وقد لا نعلمُها، لكنا نعتقدُ اعتقاداً جازماً أن في ذلك المنفعة.

وإذا نهانا اللهُ عن شيءٍ فإنا أولاً نعلمُ أن اللهَ يكرههُ ويكرهُ وقوعهُ ولا يُريدُ وقوعهُ، وأن في اجتنابهِ تحقيقنا لعبودية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أرادَ أن نُحققَ عبوديتنا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى باجتنابِ هذا المنهي عنه، كما نعلمُ أن في فعلهِ مفسدةً علينا، وفي تركهِ مصلحةً لنا، قد نعلمُ هذا بعينه، وقد لا نعلمُ هذا.

فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يُطلعنا على الحكمة؛ لأن في ذلك خيرنا، وقد يُخفي عنا الحكمة؛ لأن في ذلك خيرنا، ربُنا حكيمٌ عليم أعلمنا ما يُصلحُنا، وأخفى عنا ما في خفائهِ صلاحٌ لنا.

ألا ترى يا أخي أنه في ليلة القدرِ أطلعنا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على أن ليلةَ القدرِ في رمضان، في قولهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وأطلعنا على أنها في العشرِ الأواخر بسُنّة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيثُ أمرنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نلتمسها في العشرِ الأواخر.

↩ لما؟

لأنه يا إخوة لو أُطلقت ليلةُ القدرِ في العام سيقلُّ مَنْ يطلبها، لكن لما كانت في أيام مع عظيمِ فضلها كَثُرَ طالبُها.

وأخفى اللهُ عنا في أيِّ ليلةٍ هي، لنجتهدَ في العشرِ كُلِّها، ليزدادَ أجرُنا ويعظمَ ثوابُنا عند اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا الحِكمُ قد نعلمُها وقد لا نعلمُها ولكنها موجودةٌ يقينًا

هذه محاسنُ الإسلام.

والإسلامُ بعد بعثة النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي بُعِثَ به محمدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلا إسلامَ اليومَ غيرهُ.

الأنبياء جميعاً كانوا مسلمين، وكانوا يأمرونَ بالإسلام، لكن بعدَ بعثة النبي محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صار الإسلامُ هو: ما بُعِثَ به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلا إسلامَ اليومَ غيرهُ، ولا دينَ يرتضيهِ ربُنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا ما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومعرفةُ محاسن الدين الإسلامي لها فوائدُ عظيمة، أهمُها أربعُ فوائد، تعودُ على الإنسان إذا عرفَ محاسن الدين:

⇦ **أولُها:** أن معرفة المحاسن تزيدُ المؤمن إيماناً بكمال اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ومن ثَمَّ تزيدهُ إيماناً بكمالِ دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وتزيدُ المؤمن إيماناً وتصديقاً برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن ديناً هذه محاسنه لا يُمكنُ أن يكونَ من البشر، وإنما جاء به رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوحيٍّ من الله.

إذا رأيتَ محاسن الدين فإنكَ تزدادُ إيماناً بكمالِ حكمة الله وكمالِ عدلِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فمحاسنُ الدين تزيدُكَ إيماناً بأن اللهَ حكيمٌ وأنهُ لطيفٌ وأنه خبيرٌ وأنهُ بَرٌّ وأنه مُحسنٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُ محاسن، وهذه تجعلُ العبد يزدادُ إيماناً بكمالِ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبصدقِ رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

⇦ **والفائدةُ الثانية:** أن معرفةَ محاسن الدين تزيدُ المؤمنَ إيماناً وتُكسبهُ ثباتاً وتُعينهُ على الاستقامةِ على دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وتكونُ أدعى للتسليمِ والقبولِ للأحكام الشرعية وتزيدُ النفسَ طُمأنينة بالشريعةِ وأحكامها، فالنفسُ مجبولةٌ على التسليمِ لما عرفت حُسنهُ وعرفت فائدتهُ، فإذا عرف الإنسانُ الفائدة زادهُ ذلك ثباتاً وتمسكاً بالدين.

ولذلك نجدُ أن الأغلبَ في الآياتِ والسُّنّة التعليل وبيان الحكمة ليُعان المؤمن على التمسك بالدين والثبات والاستجابة، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؛ فهذه الحكمة: أن في دينِ اللهِ حياتكم وسعادتكم وصلاحكم وخيركم.

⇦ **والفائدةُ الثالثة:** أن العلمَ بمحاسن الشريعة يُعينُ الدُعاةَ إلى الله على بيانِ محاسن الدين وتبصيرِ الناسِ بها، وترغيبهم فيها، فإذا بُيّنت للناس سواءً كانوا مُسلمينَ عُصاة، أو كانوا غيرَ مُسلمين، فإن هذا يجلبُ قلوبهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الاستقامةِ على الدينِ إن كانوا مُسلمين، وإلى الإسلامِ إن كانوا غيرَ مسلمين.

يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: المسلمونَ اليومَ بل العالمُ كُلُّه في أشد الحاجة إلى بيانِ دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وإظهارِ محاسِنه وبيانِ حقيقته.

واللهِ –والكلامُ للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ–، واللهِ لو عرفهُ الناسُ اليوم، لو عرفهُ العالمُ على حقيقته لدخلوا فيهِ أفواجا.

⇦ **الفائدةُ الرابعة لمعرفة محاسن الدين:** الدفاعُ عن هذا الدين، ودفعُ الشُبهاتِ حوله، ودفعُ ما يصفهُ به أعداءهُ للتنفيرِ عنهُ، ودفعت ما قد يُلصقهُ به بعضُ أبنائهِ بأفعالِهم المُخالفة للدين، كما يفعل الخوارج اليوم، فيُلصقُ الناسُ بالدين أفعالَ هؤلاء.

فإذا عرفَ المسلمُ محاسن هذا الدين يستطيعُ أن يُدافعُ عن هذا الدين بها، وهذا من الجهادِ في سبيلِ الله؛ أن تُدافعَ عن دين اللهِ بالبيان، أن تُدافعَ عن دين الله ببيانِ محاسنه ومكارمه وما فيهِ من الخير.

والمسلمُ إذا عرفَ محاسنَ الإسلام يستطيعُ إبرازها للناس بأفعالهِ؛ لأنه إذا استقامَ على دينِ الله كما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفهمهُ صحابةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن محاسنَ الدين ستبرزُ بهذا، ويرى الناسُ محاسنَ الدينِ في فعلهِ، فإذا كانوا عُصاةً من المسلمين فإنه بفعلهم يدعوهم إلى ترك المعصية والاستقامة على دين الله، وإذا كانوا غيرَ مُسلمين؛ فإنه بفعلهِ يدعوهم إلى الإسلام.

📖 **ولذلك يا إخوة** انتشرَ الإسلام في كثيرٍ من البُلدان عن طريق حُسن المعاملة، عن طريق التُجار، وعن طريقِ مُعاملةِ المسلمين الحَسنة، هنا برزت محاسنُ الدين عملياً، بالاستقامةِ الصحيحة على دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

كما أنه يستطيعُ أن يُبرزَ محاسنَ الدين بقوله ولسانه ويُدللَ على ذلك.

وبهذا يا إخوة نعرفُ أنا بحاجةٍ شديدة في أنفُسِنا لنتعلمَ محاسنَ الدين، لِما ذكرناهُ من الفائدة التي ترجعُ على الإنسان إذا تعلمَ محاسنَ الدين.

كذلك نُدركُ أن الناس في حاجةٍ شديدة لأن نُبيّنَ لهم محاسنَ الدين، لنُعينَ بإذن الله عُصاةَ المسلمين على ترك المعصية، وندعو غيرَ المسلمين إلى دينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه الشُبهات، وتفجرت فيه الشهوات، فما أحوجنا لما يُثبتنا على دِيننا ويقوي تمسكنا بديننا.

ومما يُعينُ على ذلك أن نعرفَ محاسن الدين، ولذلك فإن شرحَ مثلَ هذه الرسالة يحتاجُ إليه الناسُ عموماً، وإني لأحثُ نفسي وإخواني على إبرازِ محاسن الدين.

ون الجميل إذا عرفنا شرحَ هذه الرسالة أن نشرحَ ذلكَ لأهلِنا، ولذُرياتِنا، ولأهلينا، ولمن كان أهلهُ يتكلمونَ -أعني قومهُ- يتكلمونَ بلغةٍ غير العربية فمن الجميلِ أن ينتدبَ لترجمةِ هذه الرسالة وشرحها بلغةِ قومه ليوصلها إلى الناس؛ فإن هذا من الخيرِ العظيم.

ونشرعُ في قراءةِ ما سطرهُ الشيخ في هذه الرسالة، والشيخُ في هذه الرسالة ذكرَ شيئًا من محاسنِ كُلياتِ الدين، وبدأ بالعقيدة، ثم العبادات، ثم المعاملات، على طريقة الفُقهاء في التقسيم الكُليّ للفقه، كما سيظهرُ لنا في الأمثلةِ إن شاء اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فليتفضل الابن نورُ الدين، وفقهُ اللهُ والسامعين، يقرأُ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياءِ والمُرسلين، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِيْنَ، أَمَّا بَعْدُ: فاللهمَ اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

❑ قال الإمامُ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في رسالتهِ (الدُرةُ المُختصرة في محاسن الدين الإسلامي):

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، مَنْ يهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضلِلْ فلا هَاديَ له، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كَثِيْرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنّ دينَ الإسلامِ الذي جاء به محمدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكملُ الأديانِ وأفضلُها، وأعلاها وأجلُّها.

(الشرح)

نعم، يعني إن الدينَ الذي جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكملُ الأديانِ التي جاءَ بها الأنبياء عليهمُ السلام، وقد جمعها الشيخ باعتبارِ تعدُدِ الأنبياءِ عليهمُ السلام، فيُقالُ: دينُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودينُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودينُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجمعها باعتبارِ تعدُدِ الأنبياء عليهمُ السلام، وإلا فباعتبارِ الحقيقة فدينُ الأنبياءِ واحد، جميعُ الأنبياء جاءوا بالتوحيد والتعدُدُ إنما هو في الشرائع.

باعتبار الحقيقة دينَ الأنبياء واحد، والتعدُدُ إنما هو في الشرائع، قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأنبياءُ أُخوةٌ لعلات، أُمهاتُهم شتىٰ ودينهم واحد» رواهُ البخاري في الصحيح.

أي أنَ الأنبياء كالإخوةِ لأب، الأصلُ واحد، والأُمهاتُ مُتعددات. الأصل واحد؛ الأب، والأُمهاتُ مُتعددات. فدينُ الأنبياءِ عليهمُ السلام واحد، وهو توحيدُ الله.

والشرائعُ فيها اختلاف، كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. وتنوعُ الشرائع لا يمنعُ أن يكونَ الدينُ واحداً.

وبهذا تعرفُ أيها المُبارك أنه لا يجوزُ أن يُنسبَ إلى دينِ الله إلا ما جاءَ به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يجوزُ أن يُنسبَ إلى دينِ الأنبياء إلا ما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدين؛ لأن هذا هو دينُ الأنبياءِ جميعاً.

وما يُذكرُ في أديانٍ تُنسبُ إلى الأنبياء يُخالفُ ما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدين، لا من الشرائع، من الدين؛ هو لم يأتِ به الأنبياء عليهمُ السلام، وإنما مُحرفٌ ومكذوبٌ على الأنبياءِ عليهم السلام.

وأما الشرائعُ فقد نُسخت بشريعةِ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا إذا أردتَ أن تعرفَ دينَ الأنبياء؛ فأنظر إلى ما جاء به محمدٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن دينَ الأنبياء واحد، دينُ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو دينُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو دينُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهذا ميزانٌ عظيمٌ للمؤمن.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: وقد حَوَىٰ من المحاسنِ والكمالِ والصَلاحِ والرَحمةِ والعدلِ والحكمةِ ما يشهدُ للهِ تعالىٰ بالكمالِ المُطلق، وسعة العلمِ والحكمة.**

(الشرح)

قال: "وقد حوى من المحاسنِ والكمالِ والصلاحِ والرحمةِ والعدلِ والحكمة"، فما من خيرٍ في شرائع الأنبياءِ عليهم السلام قبلَ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا وهو موجودٌ في الإسلام، على وجهٍ أكملَ مما كان، مع ما اختصَ اللهُ به أُمةَ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيرٍ وصلاحٍ وإصلاح، فالإسلامُ كُلُّهُ صلاح، وكُلُّهُ رحمة، وكُلُّهُ عدل، وكُلُّهُ خير، وكُلُّهُ محاسن.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: ما يشهدُ للهِ تعالىٰ بالكمالِ المُطلقِ، وسعة العلمِ والحكمة، ويشهدُ لنبيهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رسولُ اللهِ حقًا، وأنه الصادقُ المصدوق؛ الذي لا ينطقُ عن الهوىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].**

فهذا الدينُ الإسلاميُّ أعظمُ برهانٍ، وأجَلُّ شاهدٍ للهِ بالتفرّدِ بالكمالِ المُطلقِ كُلِّه، ولنبيهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرّسالةِ والصدق.

(الشرح)

قد تقدمَ أنا بيّنا أن من فوائدِ معرفةِ محاسن الإسلام: أن يزدادَ المؤمنُ إيماناً بكمالِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وكمالِ دينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأن يزدادَ إيماناً بصدقِ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنهُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فدينٌ هذه محاسنُه، أو بعضُ محاسنه، لا يُمكنُ أن يأتي به بشر، دينٌ بهذا الكمال، دينٌ بهذا الجمال، دينٌ بهذا الإحكام، دينٌ بهذا الاتلافِ الذي لا تدافعَ فيه، دينٌ فيهِ هذه المصالح لا يُمكنُ أن يأتي به بشرٌ من عِنده، وإنما هو وحيٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، لكنهُ لما كان من عِندِ الله، كان بهذا الكمال وهذا الجمال وهذا الجلال وهذا الاتلاف وهذه المحاسن.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: وغرضي من هذا التعليق: إبداءُ ما وصلَ إليه علمي من بيانِ أصولِ محاسنِ هذا الدينِ العظيم.**

(الشرح)

نعم، محاسنُ الدين يا إخوة، أجلُ وأعظمُ من أن يُحيطَ بها بشر، فلا يُحيطُ بعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما أطلعنا الله على شيءٍ من الحِكم؛ لأن في ذلكَ صلاحنا، ولا يُمكنُ لعالمٍ مهما بلغَ علمه أن يُحيطَ بمحاسن الشريعة، الله عَزَّ وَجَلَّ أطلعنا على شيءٍ من محاسن الشريعة.

وهذه المحاسن التي هي جزءٌ من محاسن الشريعة، لا يُمكنُ أن يُحيطَ بها عالم، وإنما يعرفُ عالمٌ بعضها، ويعرفُ آخرُ بعضها.

ولذلك الشيخ ذكرَ هذا وأنه إنما أرادَ أن يُظهرَ ما وصلَ إليهِ علمه، لا أن يُظهرَ كُلَّ المحاسن؛ فإن المحاسنَ أوسعُ من علمِ الشيخِ.

ولا شكَ أن في هذا أيضاً تواضعاً من الشيخ، وهذه عادةُ العلماء في التواضع وهم يضربونَ لنا أمثلة في هذا الأمر، نُربي أنفسنا بها عليه، -أعني التواضعَ وغمطَ النفسِ وعدمَ التكبر وعدم الاغترار بما يُحصله الإنسان من علم-.

الشيخ صالح الفوزان حفظه الله لما قال المُقدمُ: العالم.

قال: لستُ عالماً، العالم ابن باز.

الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، كان المُقدم قدمَ وبدأ يُثني العلامة.

قال الشيخ: اسكت. -يقول ابن عثيمين-.

قال المقدم: أريد أن يعرفكَ الناس.

قال الشيخ: اسكت.

الشيخ ربيع المدخلي ختمَ اللهُ لنا وله بخير، ونفعَ به الأُمة، لما قال المقدم: العلامة.

قال: أُشهدُ الله أني لستُ علامة.

وهكذا، ينبغي لطالب العلم أن يُعود نفسه على التواضع وغمط النفس، بل يا إخوة الزيادةُ في العلم تورثُ التواضع، لأنكَ كلما ازددت علما عرفتَ أن الذي تجهلهُ أكثر.

نعم في عبارة الشيخ تواضعٌ مع أنّ الكلامَ موافقٌ للحقيقة.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: فإنّي وإن كان علمي ومعرفتي تَقْصُرُ كُلَّ القصورِ عن إبداءِ بعضِ ما احتوىٰ عليه هذا الدّين م الجلالِ والجمالِ والكمال، وعبارتي تَضْعُفُ عن شرحهِ علىٰ وجهِ الإجمالِ، فضلاً عن التفصيلِ في المقال، وكان ما لا يُدركُ جميعه ولا يُوصلُ إلىٰ غايتهِ ومُعظمه، فلا ينبغي أن يُتركَ منهُ ما يعرفُه الإنسانُ لعجزهِ عمّا لا يعرفه، فلا يُكلِّفُ الله نفساً إلا وسعها: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].**

وذلك أن في معرفةِ هذا العلمِ فوائدَ متعدّدة:

منها: أن الاشتغالَ في هذا الموضوعِ الذي هو أشرفُ الموضيعِ وأجلُّها من أفضل الأعمالِ الصالحة.

(الشرح)

نعم، الاشتغالُ بالعلمِ من أفضل الأعمال الصالحة وأنفع الأعمالِ الصالحة، وأشرف القُرب، وهو سلوكُ طريق الجنة.

وقد ذهبَ جمعٌ من السلف إلى أنَ أفضلَ النوافل: أن تشتغلَ بالعلم.

فالعلمُ أفضلُ النوافل وأكثرُها ثواباً، وكلما كان العلمُ أكثرَ فائدة؛ كان أعظمَ قُربة. كلما كان العلمُ أكثرَ فائدة؛ كان أعظمَ قُربة، ومن ذلك: الاشتغالُ بعلمِ محاسن الدين، فإن ذلكَ كثيرُ الفوائد على الإنسانِ نفسه وعلى غيره، فالاشتغالُ به من أعظمِ الأعمال الصالحة، ومن أعظم القُربِ التي يُتقربُ بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: فمعرفتهُ والبحثُ عنهُ، والتّفكيرُ فيه، وسلوكُ كُلّ طريقٍ يحصلُ إلىٰ معرفتهِ خيرُ ما شَغَلَ العبدُ به نفسه، والوقتُ الذي تُنفقهُ في ذلك هو الوقتُ الذي لكَ لا عليك.

(الشرح)

يعني: (يحصلُ إلى معرفته)، العبارة فيها نظر؛ لأنها إما أن يُقال: يُحصلُ معرفتهُ. وإما أن يُقال: يوصلُ إلى معرفتهِ.

- إما أنه يوصل إلى معرفته.
- أو يُحصلُ معرفتهُ.

فلعلَ هذا خطأ من الناسخ.

✓ إما أنها: يُحصلُ معرفته.

✓ وإما أنها: يُوصلُ إلى معرفتهِ.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: والوقتُ الذي تُنفقهُ في ذلك هو الوقتُ الذي لكَ لا عليك.

(الشرح)

صدقَ والله. الوقت الذي تُنفقهُ في طلب العلم ليس وقتاً ضائعاً؛ هذا هو الوقتُ النافع، وهذا هو الوقتُ الذي يبقى، وهذا هو الوقت الذي يُحصلُ فيه الإنسان الخير، إنه وقتٌ يُثابُ عليه الإنسان، ويُحصلُ فيهِ خيرا.

وعُمرُكَ ما كانَ لك، لا ما كانَ عليك.

عمركَ ما كانَ لك، لا ما كانَ عليك، فالوقت الذي نقضيه في طلب العلم، في نشر العلم، هذا هو العمر الحقيقي، وهذا هو الحياة الحقيقية التي نرجو بها الثوابَ من الله ونفعَ أُمةَ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونرجو بها النورَ والخيرَ العظيم.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: ومنها: أن معرفة النِّعَمِ والتَّحدُّثَ بها قد أمرَ اللهُ بهِ ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

نعم، إنَ معرفة النِّعم لا بدَ منها لشُكر اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عليها، فمن لم يعرف النعمة لن يشكرها، ومن لم يعرف قدرها ما شكرها، فلا بدَ من أن يعرفَ الإنسانُ النعمة، وأن يعرفَ قدرها.

ومن ذلكَ مثلًا: أن يتذكرَ الإنسانُ ما كانَ عليه وما صارَ إليه من خير؛ فإن في هذا معرفةً للنعم، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لرسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الضُحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝٨﴾ [الضحى: ٦ - ٨].

فمن الطُرق النافعة لمعرفة النعم: أن تتذكرَ ما كُنتَ فيه، وما صِرتَ إليه، سواء في دُنياك أو في العلم أو في دِينك، أو غيرِ ذلك.

والتحدثُ بنعم الله من شُكرِ الله عَزَّ وَجَلَّ على النِّعم، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

«وَمَنْ أثنىٰ فقد شكر، وَمَنْ كتمَ فقد كفر»، كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد أمرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بتذكر النعم، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٧]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٩]؛ فنحنُ مأمورون بأن نتذكرَ نعمَ الله علينا.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وهو من أكبرِ الأعمالِ الصّالحة، ولا شكَّ أن البحثَ في هذا اعترافٌ وتحدّثٌ وتفكرٌ في أَجَلِّ نعمهِ سبحانهُ علىٰ عبادِه: وهو الدّينُ الإسلامي الذي لا يقبلُ اللهُ من أحدٍ دينًا سِوَاه، فيكونُ هذا التَّحدُّثُ شُكراً لله، واستدعاءً للمزيدِ من هذه النّعمة.

(الشرح)

نعم، النظرُ في محاسن الدين تجعلنا نُدركُ قدرَ نعمة اللهِ علينا بالإسلام، وهذا يجعلُنا نزدادُ شكرا، وإذا ازددنا شُكرا زادنا اللهُ إيمانا، وزادنا ثباتا، فالشُكرُ تزدادُ به النِّعم، وَمَنْ شكرَ ربهُ على نعمة زادهُ منها كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: ومنها: أنّ الناسَ يتفاوتونَ في الإيمانِ وكمالِهِ تفاوتًا عظيمًا.

(الشرح)

نعم، الإيمانُ يزيدُ وينقص، والناسُ يتفاوتونَ في الإيمان، وخيرهم مَنْ زادَ إيمانهُ فكان سابقاً بالخيرات، كما قال ربُنا: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، وزيادةُ الإيمان لها أسباب -كما ذكرنا في شرح العقيدةِ الواسطية-.

ومن أجلِ أسبابِ زيادة الإيمان وأعظمِها: معرفةُ محاسنِ هذا الدين؛ فإن هذا يزدادُ بيه إيمانُ العبد.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وكلّما كان العبدُ أعرفَ بهذا الدين وأشدَّ تعظيمًا له وسروراً به وابتهاجًا كان أكملَ إيمانًا وأصحَ يقينًا، فإنه بُرهانٌ علىٰ جميعِ أصولِ الإيمانِ وقواعده.

قال رَحِمَهُ اللهُ: ومنها: أن من أكبرِ الدَّعْوَةِ إلىٰ دين الإسلام شَرْحَ ما احتوىٰ عليه من المحاسنِ التي يَقْبَلُها ويتقبلُها كُلُّ صاحبِ عقلٍ وفطرةٍ سليمة.

(الشرح)

نعم، الدعوةُ إلى الله صاحبُها إن كان على علمٍ وإيمان، قولهُ أحسنُ الأقوال. قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ومن أحسنِ الأقوالِ في الدعوةِ إلى الله بيانُ محاسنِ هذا الدين، بيانُ محاسن الإسلام، وإذا ظهرت محاسنُ الإسلام وأُبرزت وعُرفت، كان في ذلك دعوة إلى دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: فلو تصدَّىٰ للدعوةِ إلىٰ هذا الدّينِ رجالٌ يشرحونَ حقائقهُ، ويُبينونَ للخلقِ مصالحه، لكان ذلكَ كافيًا كفايةً تامّةً في جَذْبِ الخلقِ إليه؛ لما يَرَوْنَ من موافقتِهِ للمصالحِ الدينيةِ والدنيويةِ، ولصلاحِ الظاهرِ والباطن من غيرِ حاجةٍ إلىٰ التَّعرُّضِ لدفعِ شُبَهِ المُعارضين، والطّعنِ في أديانِ المخالفين.

فإنهُ في نفسهِ يدفعُ كُلَّ شُبهةٍ تُعارضُهُ؛ لأنهُ حَقٌّ مقرونٌ بالبيانِ الواضح، والبراهين الموصّلةِ إلىٰ اليقين.

(الشرح)

نعم، مقصودُ الشيخ أنا إذا بيّنا محاسن الإسلام فإنا ندعو الناس إلى دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وإذا ظهرت محاسنُ الإسلام وعُرفت تبيَّنَ قُبحُ ما يُخالفهُ.

إذا ظهرت محاسنُ الإسلام تبيّنَ قُبحُ ما يُخالفهُ، فيُغني ذلكَ عن الطعنِ فيما عليه المُخالفونَ في الدينِ أو العقيدة، كما أن في ذلكَ إبطالاً كُليًّا للشُبه من غيرِ حاجةٍ للتعرض للشُبه شُبهةً شُبهة.

إذًا في بيانِ محاسن الإسلام دعوةٌ للإسلامِ وكشفٌ لقُبحِ ما يخالفُ الإسلامَ، ودفعٌ للشُبه، فهو جامعٌ بين هذه الأمور الثلاثة:

- دعوةٌ.
- وبيانٌ لقبحِ ما يُخالفُ الدين.
- ودفعٌ للشُبه التي تحولُ بين العبادِ وبين الدين.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: فإذا كُشفَ عن بعضِ حقائق هذا الدين صارَ أكبرَ داعٍ إلىٰ قبولهِ ورُجحانهِ علىٰ غيره.**

واعلم أن محاسنَ الدِّين الإسلامي عامةٌ في جميعِ مسائلهِ ودلائلهِ، وفي أصولهِ وفروعهِ، وفيما دَلَّ عليه من علوم الشَّرعِ والأحكام، وما دلَّ عليه من علومِ الكونِ والاجتماع، وليس القصدُ هنا استيعابَ ذلك وتَتَبُّعه، فإنه يستدعي بسطًا كثيراً، وإنما الغرضُ ذكرُ أمثلةٍ نافعةٍ يُستدلُ بها علىٰ سِواها، وينفتحُ بها البابُ لمن أرادَ الدّخول، وهي أمثلةٌ مُنتشرةٌ في الأصولِ والفروع، والعباداتِ والمعاملات.

(الشرح)

نعم، -كما تقدم- محاسنُ الدين ظاهرةٌ في كُلياتهِ وأصولهِ وفروعهِ وجزئياتهِ، فما من شيءٍ من دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلا وفيه الحُسنُ ظاهر، سواء من جهةِ كمالهِ وجمالهِ، أو من جهة الحكم التي تكونُ فيهِ.

ولا يستطيعُ أحدٌ أن يؤلف مؤلفاً يجمعُ كُلَّ محاسن الدين، ولكن يُذكرُ ما يُقدرُ عليه.

والشيخ إنما ذكرَ أمثلة، قاصدًا من ذلكَ أن تكونَ هذه الكُليات دالةً على الجُزئيات، وأن يحُثَ طُلاب العلم على الاعتناءِ بهذا الباب الذي يقلُ الاعتناءُ به بين طُلاب العلم.

لعنا نقف عند هذه النُقطة لنُصلي السُّنّة القبلية، ثم إن شاء الله بعد أن نُصلي السُّنّة البعدية نرجع للمجلس الثاني من مجالسنا، يعني بعدَ أن نُصليَّ الظُهر والسُنّة البعدية، نرجع للمجلس الثاني، والمجلس الثالث إن شاء الله سيكون بعدَ العصر.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل مني ومنكم.

المجلس (٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بعد؛

فنواصلُ شرحَ رسالة (**الدُرةِ المختصرة في محاسن الدين الإسلامي**) للشيخِ السعدي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ونسألُ الله الفقهَ في دينه والعونَ والقبول، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين، يقرأُ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصلاةُ والسلامُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا محمدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وصحبه أَجْمَعِيْنَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهمَ اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

❑ **قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ: فنقول مستعينينَ بالله، راجينَ منه أن يهدينا، ويعلمنا، ويفتحَ لنا من خزائن جودِهِ وكرمِهِ ما تصلح به أحوالنا، وتستقيمُ به أقوالنا وأفعالنا:**

المثال اَلْأَوَّلُ: دينُ الإسلامِ مبنيٌّ علىٰ أصول الإيمان المذكورةِ في قولهِ تعالىٰ.

(الشرح)

نعم، هذا المثالُ الأول من الأمثلة الكلية التي تظهرُ فيها محاسنُ الإسلام، وهو العقيدةُ والإيمان، وهو أجلُ الأمثلة وأعلى الأمثلة، فتوحيدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أعظم محاسن الدين، وأصولُ الإيمان موافقةٌ للعقلِ وموافقةٌ للفطرة ومُريحةٌ للنفس ومُثمرةٌ الخيرَ في العمل والصلاحَ في النفسِ، وهذا لا يوجدُ في أي اعتقادٍ يعتقدهُ أحدٌ من الناسِ اليوم إلا في الإسلام.

فلا طُمأنيةَ ولا سكينةَ ولا راحةَ ولا موافقةً للعقلِ والفطرةِ وسلامةً من الحيرة إلا في عقيدة الإسلام، في العقيدة التي جاء بها محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدينُ الإسلامِ مبنيٌّ على أصول الإيمان والشرائعُ

والفروع مترتبةٌ على أصول الإيمان، وأصولُ الإيمان الإيمانُ بالله وملائكته وكُتبه ورُسُله واليوم الآخر والقدرِ خيرِهِ وشرِهِ من اللهِ تعالى.

الإيمانُ بالله بوجوده وأنه الإلهُ المعبود المُستحقُ للعبادة الموصوفُ بصفاتِ الكمال والجلال المنعوتُ المُسمى بالأسماءِ الحُسنى، فلا إلهَ يستحقُ العبادةَ إلا هو، به تتعلقُ القلوب، وإليه الأمرُ كُله، والإيمانُ بالملائكةِ إجمالاً وتفصيلاً، والإيمانُ برُسلِّ اللهِ جمعياً إجمالاً وتفصيلاً، والإيمانُ بكتُب اللهِ جميعاً إجمالاً وتفصيلاً، والإيمانُ باليومِ الآخر، والإيمانُ بالقدر، هذه أصولُ الإيمان، وهي أصولُ الخيرات ومَنْ آمنَ بها حصلَ من اليقينِ والسكينة ما لا يقدرُ قدرهُ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: دينُ الإسلامِ مبنيٌّ علىٰ أصولِ الإيمانِ المذكورةِ في قولِهِ تعالىٰ:** ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

(الشرح)

نعم، فالأنبياء عليهم السلام جميعاً جاءوا بالتوحيدِ والإيمان، وأمروا بذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وأهلُ الإسلام يؤمنونَ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ ويؤمنونَ بكُتب الله التي أُنزلت على رُسل الله عليهم السلام، ويؤمنونَ بالرُسل عليهم السلام؛ فإنكَ لن تؤمنَ بما أُنزلَ على الرسول حتى تؤمنَ بالرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيؤمنونَ بما أُنزلَ على الرُسل، ويؤمنونَ بالرُسل، وهذا يتضمن يا إخوة الإيمان باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وهذا الذي جاء في قول الله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، هذا يتضمن الإيمان بالملائكة؛ لأن الذي ينزلُ بالوحي هم الملائكة، جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويتضمنُ الإيمان بالرُسُل؛ لأنكَ إذا آمنتَ بما أُنزلَ على الرُسل آمنتَ بالرُسل، وفيهِ الإيمانُ بالكُتب.

فالمسلمونَ من عقيدتهم الإيمانُ بجميعِ أنبياءِ الله عليهم السلام، ولا يتحققُ الإيمانُ إلا بذلك.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ**: فهذه الأصولُ العظيمة التي أمرَ اللهُ عبادهُ بها هي الأصولُ التي اتفقَ عليها الأنبياءُ والمرسلون، وهي محتويةٌ علىٰ أجلِّ المعارفِ والاعتقاداتِ، من الإيمانِ بكلِّ ما وَصَفَ اللهُ به نفسهُ علىٰ ألسنة رُسُله، وعلىٰ بذلِ الجُهدِ في سلوك مرضاته.

فدينٌ أصلهُ الإيمانُ بالله، وثمرتهُ السَّعيُ في كُلِّ ما يحبه ويرضاه، وإخلاصُ ذلك لله، هل يتصورُ أن يكونَ دينٌ أحسنَ منهُ وأجَلُّ وأفضل؟

(الشرح)

لا والله، لا يتصور، هو الأكملُ والأجملُ والأفضلُ والأجل، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، ألم تَرَ يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأُمة مُخاطبة تبعاً له، ألم ترَ بعلمكَ وقلبكَ كيفَ ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً هي الإيمان، كشجرةٍ طيبة هي النخلة، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء.

وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخاطباً الصحابة رضوان الله عليهم: أخبروني عن شجرةٍ مثلها مثلُ المؤمن؟ فجعلَ القوم يذكرونَ أشجارَ البوادي، حتى إذا سكتوا قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هي النخلة» رواهُ مسلم.

والنخلةُ لها أصلٌ وفروع، فأصلُها ثابتٌ، وفروعها باسقةٌ في السماء، ولذلك قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثلُ المؤمنِ مثلُ النخلة، ما أخذتَ منها من شيءٍ نفعك» رواهُ الطبراني وصححهُ الألباني.

النخلةُ يا إخوة شجرةٌ لا يُرمى منها شيء، كُلُّ شيءٍ فيها نافع، وكذلك الإيمان، وكذلك المؤمن، كُلُّ شيءٍ فيه نافعٌ فدينٌ أصولهُ يقين، وفروعهُ خيراتٌ وبركاتٌ ومصالح، هو أكملُ الأديان وأجلُ ما اعتقدَ الإنسان، فكُلُّ ما فيهِ خيرٌ وبركة.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: ودينٌ أمرَ بالإيمانِ بكلِّ ما أوتيه الأنبياءُ، والتصديقِ برسالاتِهم، والاعترافُ بالحق الذي جاءوا به من عند رهم، وعدم التفريقِ بينهم، وأنهم كُلُّهم رسلُ اللهِ الصادقون، وأمناؤه المخلِصون، يستحيلُ أن يتوجَّه إليه أيُّ اعتراضٍ وقدح.**

(الشرح)

نعم، من محاسنِ العقيدةِ الإسلامية أن المؤمنَ يؤمنُ بجميع الرُسُل ويُثبتُ لهم فضلَ الرسالة، ولا يتنقصُ أحداً منهم، حتى في التفضيلِ بين الرُسُل إنما يُفضلُ على وجه الكمال لا على وجه التنقص لأحدٍ من الأنبياء، فنحنُ نؤمنُ بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه رسولٌ من رُسُل الله عليهمُ السلام ونُحبهُ ونتقربُ إلى اللهِ بحبه، وكذلك نؤمنُ بسائر الأنبياء عليهم السلام ونُحبهم ونتقربُ إلى اللهِ بحبهم لا نفرقُ بين أحدٍ منهم.

هذه عقيدةُ الإسلام، وهذا كمالٌ وجمال، وحُسنٌ وبهاء، ما من أحدٍ في الدنيا يعتقدُ غيرَ عقيدة الإسلام إلا وهو يكفرُ ببعضِ الأنبياء، من الناس مَن يكفرُ بجميع الأنبياء، ومنهم مَنْ يكفرُ ببعض الأنبياء، ويتنقصُ بعضَ الأنبياء، ولا يوجدُ أحدٌ على وجه الأرضِ يؤمنُ بالأنبياءِ جميعاً ويُحبُ الأنبياءَ جميعاً، ويعرفُ لهم فضلهم إلا المسلم.

وهذا حُسنٌ ما بعدهُ حُسن.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: فهو يأمرُ بكلِّ حقّ، ويعترفُ بكلِّ صدق، ويُقررُ الحقائق الدينية المستندة إلىٰ وحي الله لرسله، ويجري مع الحقائق العقلية الفطرية النافعة، ولا يردُ حقًا بوجهٍ من الوجوه، ولا يُصدقُ بكذب، ولا يروجُ عليه الباطل، فهو مُهيمنٌ علىٰ سائر الأديان.**

(الشرح)

نعم، الذي فيهِ من الخير، مُهيمٌ على كُلِّ دين، حَقٌّ كُلُّهُ لا يأتيهِ الباطلُ أبداً، ويُثمرُ خيراً، أصلهُ خير، ويُثمرُ خيرا، وهذا من الكمالِ والبهاء.

وسيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك في الأمثلة التالية.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: يأمر بمحاسن الأعمالِ، ومكارم الأخلاقِ، ومصالح العباد، ويحثُ علىٰ العدلِ والفضلِ والرحمةِ والخير، ويزجرُ عن الظُّلمِ والبغي ومساوئِ الأخلاق، ما من خصلةِ كمالٍ قرّرها الأنبياءُ والمرسلون إلا وقررها وأثبتها، وما من مصلحةٍ دينيةٍ ودنيويةٍ دَعت إليها الشرائعُ إلا حثَّ عليها، ولا مفسدةٌ إلا نهىٰ عنها وأمرَ بمُجانبتها.

والمقصودُ: أن عقائدَ هذا الدين هي التي تزكو بها القلوب، وتصلحُ الأرواح، وتتأصلُ بها مكارمُ الأخلاقِ ومحاسنُ الأعمالِ.

(الشرح)

نعم، المقصودُ أن العقيدةَ التي جاءت في كتاب الله وفي سُنّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجمعَ عليها صحابةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها تطمئنُ القلوب، وإليها ترتاحُ النفوس، وهي موافقةٌ للفِطر، وبها تزكو النفوس وتصلحُ الأعمال، وتصلحُ الأرواح، ويُحصلُ كُل خير.

فعقيدةُ الإسلام لا حيرةَ فيها ولا اضطراب، الإلهُ المعبودُ واحدٌ تتعلقُ به القلوب، موصوفٌ بصفات الكمال، مسُمى بأسماءِ الجلال، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يصعبُ فهمها ولا يردُها العقلُ، بل يرتاحُ إليها ويؤمنُ بها وتُثمرُ الثمارَ العظيمة.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: المثالُ الثَّانِي: شرائعُ الإسلام الكبار بعد الإيمان: هي إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصومُ رمضان، وحجُ البيت الحرام.

(الشرح)

نعم، هذا المثالُ الثاني من الأمثلةِ الكُلية التي تظهرُ بها محاسنُ الإسلام، وهي أركانُ الإسلام العملية الأربعة، وهي أعظمُ شعائر الإسلام وأفضلُ الأعمال ففيها الحكمُ العظيمة من اليُسرِ والمنافعِ العظيمة من الثوابِ العظيم في الآخرة، والمنافعِ الدينيةِ في الدنيا من زيادةِ الإيمان واستقامةِ الدينِ والجوارح والنهي عن المفاسد.

هذه الأركانُ الأربعة العملية كُلُّها يُسر، ودينُ اللهِ كُلُّه يُسر، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفيها حكمٌ عظيمة سيُنبهُ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على بعضِها.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: تأمل هذه الشرائع العظيمة، وجليل منافعها، وما توجبهُ من السعي في مرضاة الله، والفوزِ بثوابهِ العاجلِ والآجل، وتأمل ما في الصلاةِ من الإخلاصِ لله.**

(الشرح)

نعم، شرعَ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في الإشارةِ إلى بعضِ منافعِ وحكم الصلاة التي هي صلةٌ بين العبدِ وربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن حكمِها: الإخلاصُ لله عَزَّ وَجَلَّ، فشِعارُها اللهُ أكبر تتفتحُها بهذه الجُملةِ العظيمة، وفي هذا تنبيهٌ للقلبِ إلى الإخلاصِ لله عَزَّ وَجَلَّ وتنقية الصلاةِ من كُلِّ إرادةٍ فاسدة، كيف تقول: اللهُ أكبر وتُرائي الناس بالصلاة؟! كيف تقول: اللهُ أكبر ويكون في قلبكَ إراداتٌ فاسدة؟!

إن الصلاةَ تُبنى على الإخلاص وتُعلمُ الإخلاص، وهذا من أعظمِ منافِعها، أنها تُبنى على الإخلاص وأنها تُمرنُ العبدَ على الإخلاص للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: وتأمل ما في الصلاةِ من الإخلاصِ لله، والإقبالِ التامِ عليه.**

(الشرح)

والإقبال التام عليه، هذه من حكم الصلاة أنكَ تُقبلُ على ربكَ بقلبكَ وتُقبلُ على ربكَ بتوجهكَ إلى القِبلة تُريدُ وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ في السماء مُستوٍ على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأنتَ مُقبلٌ على الله بفعلك، ومُقبلٌ على الله بقولك، ومقبلٌ على الله بقلبك، ليسَ في الصلاةِ شيءٌ إلا وهو لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعلُكَ لله، وقولكَ لله، وتوجُهكَ لله، تبدأُ بقولِكَ اللهُ أكبر، وتختتمُ بقولك: السلامُ عليكم ورحمة الله، السلامُ عليكم ورحمة الله.

وألحظ: أولُها تذكرُ الله. الله. أول الصلاة لفظُ الجلالة (الله)، وآخرُ الصلاة لفظُ الجلالة.

- ❖ أولُها: اللهُ أكبر.
- ❖ آخرُها: السلامُ عليكم ورحمةُ الله.

فأولُها لفظُ الجلالة، وآخرُها لفظُ الجلالة. الصلاةُ كُلُّها للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

❑ **قال:** والثناءِ والدُّعاءِ والخضوع.

(الشرح)

نعم، الصلاةُ فيها الثناءُ على الله، والدُّعاء، وفيها الخضوعُ والخشوع للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا من حكمها.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: وأنها من شجرةِ الإيمانِ بمنزلةِ الملاحظةِ والسقي للبستان، فلولا تكرارُ الصلاةِ في اليومِ والليلةِ ليبست شجرةُ الإيمان، وذَوَىٰ عودُها، ولكنها تنمو وتتجدَّدُ بعبوديات الصلاة.**

(الشرح)

نعم يا إخوة، الإيمان شجرة، هي النخلة كما أخبرَ الله عَزَّ وَجَلَّ وكما أخبرَ رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشجرةُ لا تبقى حيةً إلا بسقيها، وإذا انقطعَ عنها السقيُ يبست، ولربما ماتت، وإذا تتابعَ عليها السقيُ أينعت وأثمرت وقويت.

وهكذا الإيمان إذا لم يتتابع عليه السقيُ بالأعمال الصالحة يضعفُ ويُشكُ أن ييبس.

والشجرةُ لابد لها من أن يسقيها صاحبُها ليُنميها ويُبقيها، وأن يُنقيها ليحميها، وهكذا الإيمان.

والصلاةُ فيها تتابعٌ لسقي الإيمانِ؛ فهي أجلُ الأعمال الصالحة وأفضلُ الأعمال الصالحة بها يُسقى الإيمان ويتتابع. وهذا يا إخوة من حكمِ كون الصلوات المفروضة مُفرقةً على اليوم، لما لم تُجعل الصلوات الخمس في وقتٍ واحد يُصليها الإنسان وينتهي؟!

من الحكم أنها تسقي الإيمان، فإذا صليتَ الظُهرَ سقيتَ إيمانكَ وازدادَ فمع مرور الوقت يضعف، فيأتي العصر فإذا صليتَ العصرَ سقيتَ إيمانكَ فقويَ وازدادَ وخلصتهُ من الضعفِ، وهكذا في بقيةِ الصلوات.

فانظر إلى حُسن الصلاة، وما فيها من الحكم العظيمة.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: وانظر إلىٰ ما تحتوي عليه الصلاةُ من الاشتغالِ بذكر الله الذي هو أكبرُ من كُلِّ شيء.**

(الشرح)

نعم، من حكم الصلاة يا إخوة ومحاسِنها: أنها شُرعت لذكر الله، ومُشتملة على ذِكر الله فيها الاشتغالُ بقراءةِ القُرآن، والاستماعُ لقراءة القُرآن، أعظمُ استماعٍ للقُرآن هو الذي في الصلاة، لأن القلبَ مُقبل، والنفسَ مُجتمعة، فيسمع الإنسان كلامَ الله وهو واقفٌ بين يدي الله، يُصلي.

وفيها الاشتغالُ بالتكبيرِ والتسبيحِ، فيها الاشتغالُ بذكر الله، وذِكرُ اللهِ أكبرُ من كُلِّ شيء، كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ولذلك يا إخوة تُبدأُ الصلاة بهذه الجُملة العظيمة: **اللهُ أكبر**. فاللهُ أكبر وما في الصلاةِ أكبر.

واللهِ **اللهُ أكبر** فكيفُ لا تُقبلُ عليه؟!

وما في الصلاة لا أكبرَ منهُ في الدنيا، كُلُّ شيءٍ أمامَ الصلاةِ يصغُر، المالُ لا شيءَ أمامَ الصلاة، العملُ لا شيءَ أمامَ الصلاة، الصلاة فيها ذِكرُ الله، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ففيها أعظمُ المحاسنِ وأعظمُ الخير. وكذلك عندما تنتقل في الصلاة فإنكَ تقول: **اللهُ أكبر**، إلا في الرفعِ من الركوع، تُذكرُ نفسك فلا تستثقلُ الصلاة، ولا تراها ثقيلةً أبداً، لا عندما تسعى إليها فإنكَ تُنادى إليها بقول: **اللهُ أكبر**. ولا عندما تبدأُها فإنكَ تبدأُها بقول: **اللهُ أكبر**. ولا عندما تنحني فيها وتسجدُ وتقوم فإنكَ تقول: **اللهُ أكبر**. فكيف تستثقلُها؟!! وكيف تراها ثقيلة؟!! واللهِ إنها ليتخلصُ بها من ثِقل الدنيا، ويُرتاحُ بها من كرب الدُنيا.

كان نبيُنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أرحنا بها يا بلال**».

فانظر ما فيها من الحُسنِ والكمالِ والجمال.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وأنها تنهىٰ عن الفحشاءِ والمنكر.

(الشرح)

نعم، من عجيبِ محاسن الصلاة أنها تُعينُ على الخير، وتنهى عن الشر. من عجيبِ محاسن الصلاة، أنها تُعينُ عل الخير، ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وهي تنهى عن الفحشاء والمُنكر، تنهى عن الشر، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال العلماء: ما مِنْ مُصلٍ تصحُ صلاتهُ إلا وهي تنهاهُ عن المُنكر.

✍تنهى عن المُنكرِ قبلها، فإذا توضأ الإنسان خرجت ذنوبه وزادَ إيمانه، فإذا مشى إلى الصلاة استحى أن يفعلَ الحرام وهو يمشي إلى بيت الله.

✍وأثناء الصلاة ليس فيها إلا خير.

✍وبعد الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمُنكر.

فهي نافعةٌ زاجرة، مُعينةٌ على الخير، زاجرةٌ عن الشر؛ ولهذا تتكررُ في اليومِ وجوباً خمسَ مرات، لهذه المحاسن العظيمة.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وانظر إلىٰ حكم الزكاة.

(الشرح)

نعم، الزكاة أوجبها اللهُ على الأغنياء لتُردَ على الفقراء، فانظر هذه الحكمة العظيمة، واجبةٌ على الأغنياء، لتُردَ على الفقراء، وأوجبها اللهُ بمقدارٍ يسير من الأموال، وجعلها تُزكي المالَ وتُنقي المالَ من الشر، ولا تُنقصُ المال.

كُلُّ شيءٍ يؤخذُ المالُ له يُنقصهُ، يُنقص المال، إلا ما لله، ما أُخرجَ من المالِ لله لا يُنقصُ المالَ، بل يزدادُ به المال، وتحصلُ فيهِ البركة، قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما نقصَت صدقةٌ من مال» رواهُ مسلمٌ في الصحيح.

وفيها –أعني الزكاة– حكمٌ عظيمة يُشيرُ الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ إلى بعضِها.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وانظر إلىٰ حِكمِ الزكاة وما فيها من التخلُّقِ بأخلاقِ الكِرَامِ من السخاءِ والجودِ والبُعدِ عن أخلاق اللئام.

(الشرح)

نعم، من حكم الزكاة: تخليصُ النفسِ من الشُح والبُخل. البُخلُ خُلقٌ ذميمٌ مُهلك، مَنْ أطاعَ شُحهُ هلكَ. الزكاة تُخرجُ الإنسان من الشُح ومن البُخل وتعودهُ على الكرم وعلى الجود وعلى السخاء الذي هو من الإيمان ومن أخلاقِ الفُضلاء.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: والشكر لله علىٰ ما أولاهُ من الإنعام، وحفظ المالِ من المنغصاتِ الحِسيةِ والمعنوية، وما فيها من الإحسانِ إلىٰ الخلقِ ومواساةِ المحتاجين.

(الشرح)

نعم، من حكم الزكاة أن فيها الإحسان للخلق، وهذا يا إخوة يزيدُ المحبة بين المؤمنين، ويدفعُ آفةَ الحسد؛ لأن الفقيرَ إذا رأي الغني يُعطيه من ماله؛ فإنه لا يحسدهُ، ويُحبُ الغني، والغنيُ يُحبُ الفقير، وبذلك يتماسك المجتمع ويتكافلُ أفراده، ففيها هذه الحكمةُ العظيمة.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وسداد مصالح المحتاج إليها؛ فإن في الزكاةِ دفعَ حاجةِ المضطرينَ المُحتاجين، وفيها الاستعانةُ علىٰ الجهادِ والمصالح الكُلية التي لا يستغني عنها المسلمون، وفيها دفعُ صولة الفقرِ والفقراء، وفيها الثقةُ بخُلف اللهِ، والرجاءِ لثوابهِ، وتصديقِ موعوده.

(الشرح)

نعم، الزكاةُ من الإيمان، ودليلٌ على قوة الإيمان. الزكاة من الإيمان، ودليلٌ على قوة الإيمان؛ فإن المالَ محبوبٌ ولولا الإيمان ما أخرجهُ الإنسان، فكونهُ يُخرجُ المالَ لله، هذا دليلٌ على قوةِ إيمانه، وهذا من حُسنِ الزكاة وحكمِ الزكاة.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وفي الصومِ من تمرين النفوسِ علىٰ ترك محبوبها، الذي ألفتهُ؛ حبًا للهِ، وتقربًا إليه، وتعويد النفوس وتمرينها علىٰ قوة العزيمةِ والصبر. وفيه تقويةُ داعي الإخلاص، وتحقيق محبتهِ علىٰ محبة النفس، ولذلك كان الصومُ لله، اختصهُ لنفسهِ من بينِ سائرِ الأعمال.

(الشرح)

نعم، الصومُ فيه حكمٌ عظيمة، جعلهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في خير الشهور، أعني الصومَ الواجبَ، في شهرِ رمضان الذي أُنزلَ فيه القُرآن، فيهِ التعويدُ على الصبر، وفيهِ تحقيقُ تقوى الله ومراقبة الله، الإنسانُ الصائمُ يحتاجُ إلى الماء فلا يشرب، ويجوعُ فلا يأكل، يجلسُ وحدهُ في الغُرفة وقد اشتدَ به العطش وعضهُ الجوع فلا يمدُ يدهُ إلى الطعام ولا إلى الشراب؛ مع أن أحدً من الخلقِ لا يراه.

ولهذا قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فالصومُ يُحققُ تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي الحديث قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «كُلُّ عملَ ابن آدمَ له، إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي بهِ» رواه الشيخان.

لما كان الصومُ عبادةَ تقوى، وعبادةً يستوي فيها العلنُ والسِر، جعلَ اللهُ الصومَ له، فأخفى جزاءهُ فلا يعلمُ جزاءهُ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا لعظيمِ محاسن الصوم.

وفي الصومِ أيضاً إثارةُ الرحمة في النفس، لأن الإنسان إذا حرمَ نفسهُ من الماء وحرمَ نفسهُ من الأكل، تذكرَ المحرومينَ جبراً، أنتَ الآن تحرمُ نفسكَ من الماء باختيار، تتقربُ إلى الله، تحرمُ نفسكَ من الطعام باختيار، تتقربُ إلى الله، فتتذكر أن هُناكَ من الناس مَنْ يُحرم من الأكل اضطراراً ما يجد.

من الناس مَنْ يذهب يجمع طعاماً من الأماكن التي يرمي فيها الناسُ الأطعمة؛ لأنه لا يجد، فتتذكر ذلك عند الصيام، فترحم أولئك الناس، وتُعطي الناس مما عندك ولو كان الذي عندكَ قليلا.

وإذا ذُقتَ في الصيامِ حرارةَ الجوع، تذكرتَ أقواماً يُعانونَ من حرارة الجوعِ أياماً وليسَ يوماً واحداً، ربما مرَ عليهم اليوم وما أكلوا، وربما مرَ عليهم اليوم وما أكلوا إلا قليلاً، تتذكرُ بالصيامِ ذلك، فترحمُ عبادَ الله.

☚ ولذلك يا إخوة، الحظوا هذا الملحظ: «كان النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان»، يعظمُ جودهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان؛ فرمضانُ داعيةٌ إلى الجود، ومن أسبابِ ذلك أن الإنسانَ بالصيام يتذكرُ المحاويج المحرومين ويسعى في أن يُعطيهم شيئاً مما أعطاهُ الله.

أيضاً من حكم الصيام ومحاسن الصيام: أن الصيامَ يُدربُ المُسلم على حُسن الأخلاق، ولذلك قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصيامُ جُنة» أي: حاجزٌ عن الأخلاق الرديئة؛ فالصائمُ زكيُّ النفسِي حسنُ الأخلاقِ.

على عكسِ ما نراهُ من بعض المسلمينَ اليوم، من أنهُ إذا صامَ ساءَ خُلُقه، ويُعللُ سوءَ الخُلق بالصوم، فيقول: ترى أنا صائم. يعني يعتذر عن أخطائه بأنه صائم، وهذا عكس مقصود الشارع من الصيام، فمن محاسن الصيام أنهُ يُدرب النفس على حُسن المعاملة وعلى حُسن الأخلاق، وعلى أن يكونَ الإنسان مُتخلقاً بالأخلاق الحسنة فلا يشتم ولا يسب ولا يغتاب ولا يصخب، وإذا شاتمهُ أحد لا يردُ الشتمة بل يقول: إني صائم، إني صائم، وهذا من محاسنِ الصيام.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: وأما ما في الحجِ من بذلِ الأموال، وتحمُل المشقات، والتعرُّضِ للأخطارِ والصّعوبات؛ طلبًا لرضىٰ اللهِ.**

(الشرح)

نعم، الحجُ فيهِ محاسنُ عظيمة، وترى فيهِ العجبَ العُجاب، ترى المؤمنينَ يشتاقونَ إلى الحج شوقاً عجيباً، ويجمعُ أحدُهمُ المالَ ليحُج، ربما قضى أربعينَ عاماً وهو يجمعُ هُنا وهُنا وهُنا حتى يُحجَ، فإذا حجَ وقد بذلَ هذه الأموال ليحج، ما إن يرى الكعبة حتى يتهللَ وجهه ويعظمُ فرحُ قلبه.

ترى كبيرَ السِن يتحركُ بصعوبة في الحج، ومع ذلك ترى على وجههِ ابتسامةَ الرضى والفرح.

كُلُّ هذا لماذا؟ لأنه يبتغي إرضاءَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه حكمة عظيمة، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!! كيفَ يُنفق الإنسان ويتعب، ويتعب في الحج تعباً كثيراً، ومع ذلكَ يكون في غاية الفرح وفي غاية السرور، ويشتاقُ إلى الحجِ مِراراً، هذه حكمة عظيمة جعلها الله عَزَّ وَجَلَّ في الحج.

ومثلُها أيضاً في العُمرة، ترى الناس وهم يسعون مثلاً، ترى العجب، هذا كبيرٌ يتوكأ، وهذا متينٌ يتعب، ومع ذلك تجدُ عليهم السرور، وتجد أن الواحدَ منهم ما إن ينتهي من العُمرة حتى يرغبَ في أن يرجعَ إلى العمرة، حكمة عظيمة جعلها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الحج.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: طلبًا لرضىٰ الله، والوفادةِ علىٰ الله.**

(الشرح)

نعم، الحُجاجُ والعُمارُ وفدُ الله؛ ولذلك يا أخي أكرم الحاج وأكرم المعتمر لأنهم وفدُ اللهُ، فإذا رأيتَ الحاج فاحترمهُ وأكرمهُ، لأنه من وفدُ الله. الحُجاجُ والعُمارُ وفدُ الله دعاهم فأجابوه، وسألوهُ فأعطاهم، كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: والتملُّقِ له في بيتهِ وفي عرصاته.**

(الشرح)

والتملُّقِ. انظر إلى هذه الكلمة من الشيخ (التَّمَلُّق) هو الطلبُ بتودد. وإذا رأيت الناس حولَ الكعبة أو وهم يدعونَ في المسجد الحرام رأيتَ كيف يتملقون، الواحد منهم في غاية الخشوعِ والخضوعِ يدعو الله ويسأل الله بغاية التملق، غاية التودد، تجدهُ يذكرُ ألفاظاً يتوددُ بها ويتقربُ بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وفي عرصاتهِ) طبعاً يا إخوة: العرصات هي البُقعُ والساحات الواسعة، البُقع والساحات الواسعة، وبُقعُ الحج واسعة يجتمعُ فيها الناس، مثل في مِنى، وفي عرفة، وفي مزدلفة والحُجاج يتملون إلى الله، ويتوددون، ويدعون بخشوع، وتفيضُ أعيُنهم يخافونَ الله ويرجونَ رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: والتنوعِ في عبوديات اللهِ في تلك المشاعرِ التي هي موائد مدها اللهُ لعبادهِ ووفودِ بيته، وما فيها من التعظيمِ والخضوعِ التامِ لله، والتذكر لأحوال الأنبياء والمرسلين، والأصفياءِ والمخلصين.

(الشرح)

نعم، في الحج، عندما تحج تذكرُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عندما حجَ وقضى مُحرماً منذُ خروجهِ من المدينة إلى أن وصلَ مكة فقط تسعةَ أيام، ثم بقيَ بإحرامهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه كان قارناً، إلى يوم الثالث عشر من ذي حجة، أربعة أيام من ذي القعدة، وثلاثةَ عشرَ يوماً من ذي الحجة، سبعةَ عشرَ يوماً في حجهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تحللَ من إحرامهِ في اليوم العاشر، يعني بقيَ محرماً أربعةَ عشرَ يوماً.

تتذكر حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتتذكر نعمة الله عليك، اليوم تذهب إلى مكة في ثلاث ساعات، ربما تذهب إلى الحج في اليوم الثامن من ذي الحجة، وتبقى بإحرامك يومين أو أقل في الحج.

تتذكر أن الأنبياء عليهم السلام قد حجوا مع صعوبة الحج في زمنهم وأنه قد صلى في مسجد الخيف سبعونَ نبياً، وأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ينزل سيحج أو يعتمر، تتذكرُ هذا وما فعله الأنبياء عليهم السلام، وأحوال الصالحين من الصحابة وَمَنْ بعدهم، وتتذكر نعمة الله عليك.

والله يا إخوة من الفوائد من العبادة أنكَ إذا شرعتَ في العبادة تتذكرُ أنكَ تفعلُ شيئاً فعلهُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتحرص على أن تفعل كما فعلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعظمَ الشرف أن تُصلي كما صلى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن تحجَ كما حجَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن تعتمر كما اعتمرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: والتذكر لأحوالِ الأنبياءِ والمرسلينَ، والأصفياءِ والمُخلصين، وتقويةِ الإيمانِ بهم.

(الشرح)

تقوية الإيمان بالأنبياء عليهم السلام، والإيمان بفضلهم عليهم السلام.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وشدة التَّعَلُّقِ بمحبَّتِهم، وما فيها من التعارفِ بين المسلمين، والسعي في جمع كلمتم، واتفاقهم علىٰ مصالحهم الخاصةِ والعامة.

(الشرح)

نعم، الحجُ فيهِ تعارف، فيأتي المسلمون من كُلِّ مكان، ويجتمعونَ في عرصات الحج، فيتعارفونَ ويتآلفونَ، وهذا يُصححُ المفاهيمَ الخاطئة، كم من شخصٍ سمعَ عن بلادِنا أخباراً كاذبة، بل وعنا. وعندما جاء وعاملنا ورأى ما في بلادنا تصححت مفاهيمه. وهكذا نحنُ يحصلُ التعارف والتآلف، وتُصحح المفاهيم والأخبار في هذا الحج، وصدقَ الله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، فالحجُ كُلُّهُ منافع.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: واتفاقهم علىٰ مصالحهم الخاصةِ والعامة مما لا يُمكنُ تعداده، فإنه من أعظم محاسن الدين، وأجلِّ الفوائد الحاصلةِ للمؤمنين، وهذا علىٰ وجهِ التنبيهِ والاختصار.

(الشرح)

نعم، وإلا فمحاسنُ الصلاة فقط كُلاً وتفصيلاً تحتاجُ إلى بسطٍ أكثرَ من هذا بكثير، التأمل في الصلاة وفي مُناسبة الذِكرِ للفِعلِ وما في ذلك من الحِكم شيءٌ عظيم، وشيءٌ كثير، ولكن المقصودَ التنبيه على هذه المحاسن.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: المثالُ الثَّالِث: ما أمر به الشارعُ وحَثَّ عليه من وجوب الاجتماع والائتلاف، ونهيه وتحذيره عن التفرُّقِ والاختلاف.

(الشرح)

نعم، هذا المثالُ الثالث الذي تظهرُ فيهِ محاسنُ الإسلام العظيمة، وهو أن الإسلام دينُ الاجتماع، ودينُ الائتلاف فيأمرُ بالجماعة، وينهى عن الفُرقة، ولا خيرَ للناس ولا رحمةَ للناس إلا في الجماعة.

قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الجماعةُ رحمة، والفُرقةُ عذاب» رواهُ الإمامُ أحمد وابنهُ عبد الله، وابنُ أبي الدنيا وحسنهُ الألباني. وقال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل

عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفُرقة» رواه الترمذي وصححهُ الألباني.

وفي هذه الجماعة لابد من الائتلاف والإخوة، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم علىٰ بيعِ بعض، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانا» رواه مسلم.

ولا يوجدُ هذا الأمرُ بالجماعة وهذه العنايةُ بالجماعة إلا في دين الإسلام، فدينٌ هو دينُ الجماعة، ودينُ الائتلافِ بين الأفراد، كُلهُ محاسن وكلهُ خير.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: علىٰ هذا الأصلِ الكبيرِ من نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ شيءٌ كثير.**

وقد علمَ كُلُّ مَنْ له أدنىٰ معقول منفعةَ هذا الأمر وما يترتبُ عليه من المصالح الدينية والدنيوية، وما يندفعُ به من المضارِ والمفاسد.

(الشرح)

نعم، الجماعةُ أصلٌ في تحقيق المصالح وفي درأِ المفاسد، وهذا أمرٌ يُدركهُ العقلاء، ويعرفُ قدرهُ الحكماء، وهو يدُلُّكَ على حُسن هذا الدين، نحمدُ الله أن جعلنا مُسلمين.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: ولا يخفىٰ أيضًا أن القوةَ المعنويةَ المبنيةَ علىٰ الحق، هذا أصلُها الذي تدورُ عليه.**

(الشرح)

نعم، لا يُهابُ متفرقون، وإنما الهيبةُ للجماعة، فإذا اجتمعَ المسلمون وتمسكوا بدينهم ولم تبعوا السُبلَ المُفرقة، هابهم أعداؤهم، ما هانَ المسلمونَ على الأعداء إلا بسببِ أن كثيراً من المسلمين تركوا السُّنّة إلى البِدعة، فهانوا على أعدائهم، فالقوةُ للمسلمين في تمسكهم بالدين، وفي تمسكهم بسُنّةِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ**: كما أنهُ قد عُلِمَ ما كان عليه المسلمونَ في صدر الإسلام من استقامة الدين، وصلاح الأحوال، والعزةِ التي لم يصل إليها أحدٌ سواهم، إذ كانوا مستمسكينَ بهذا الأصلِ، قائمينَ به حقَّ القِيامِ، موقنينَ أَشَدَّ اليقينِ أنه روحُ دِينهم.

(الشرح)

مقصودُ الشيخِ أن أقوى جماعةٍ للمسلمين هي الجماعةُ في صدر الإسلامِ، وتلكَ الجماعة ظهرَ خيرُها وقوتُها ومناعتُها، وهيبةُ الأعداءِ لها، فكثرت الفتوحات، وعظمت المصالح، وهي مثالٌ للمسلمين.

فإذا أرادَ المسلمونَ العِزةَ والقوةَ والمَنعةَ فعليهم بالتمسُكِ بالجماعةِ في بُلدانِهم، مع التمُسكِ بما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

كُلُّ أهلِ بلد يتمسكونَ بالجماعة في بلدهم، ولكن كُلَّ المُسلمين يجتمعونَ على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى ما كان عليه صحابةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيا طُلاب العلم، عليكم بالجماعة وإياكم والفُرقة، واجتنبوا أسبابَ الفُرقة، وادعوا الناسَ إلى لزومِ جماعة الأبدانِ في البُلدان، وإلى لزومِ جماعةِ الدين بأن يحرصَ المُسلم على أن يكونَ على ما كانَ عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه صحابتهُ الكِرام، رضوانُ اللهِ عليهم.

نقفُ عند هذه النُقطة، ونعودُ إن شاء الله بعدَ صلاة العصر للمجلس الثالث من مجالسِ شرحِ هذه الرسالةِ النافعة، أسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن ينفعني وإياكم بالعلم، وأن يجعلنا نافعينَ به لأُمةِ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد.

المجلس (٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بعد؛

فمرحبًا بكم يا معاشر الفضلاء في مجلسِ علمٍ في مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يُرجىٰ خيرهُ وبرِّه، ونرجو به أن تتنزل علينا السكينة، وأن تغشانا الرَّحْمَةِ، وأن تحفّنا الْمَلَائِكَة، وأن يذكرنا الله عَزَّ وجَلَّ في من عِنْدَهُ، وأن يعطينا ربنا سؤلنا، ويجيرنا مما نستجير مِنْهُ، ويكتبنا من أهل الجَنَّة، وأن نفوز فيه بأجرِ الحاجِ الذي تمَّ حجه وأجر المجاهد في سبيل الله، وأن يرزقنا فيه علمًا نافعًا لنا ولغيرنا.

نواصل شرحنا لرسالة (الدرة المختصرة في محاسن الدين الْإِسْلَامِي)، للإمام المتفنن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي السعدي رحمه الله عَزَّ وجَلَّ وسائر علماء الْمُسْلِمِيْنَ، فنواصل القراءة في هَذِه الرسالة والتعليق عَلَيْهَا، فيتفضل الابن نور الدين وفَّقهُ الله والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَف الأنبياء وَالمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَمَّا بَعْد؛ اللهم اغفر لَنَا، وَلِشَيْخِنَا، والسامعين.

❑ **قَالَ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته (الدرة المختصرة في محاسن الدين الْإِسْلَامِي) :** يزيد هذا بيانًا وإيضاحًا المثال الرَّابِع إنَّ دين الإسلام دينُ رحمةٍ وبركةٍ وإحسان، وحثٌّ علىٰ منفعة نوع الإنسان.

(الشرح)

هذا المثال الرابع من الأمثلة الْكُلِّيَّة الَّتِي يظهر فيها حُسنِ الإسلام وبهاؤه، وكماله، والحِكمُ العظيمة فِيْهِ؛ ففيها محاسن الإِسْلَام، وهُوَ أن الإِسْلَام دِيْنُ الرَّحْمَةِ؛ فالقرآنُ كتاب رحمة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا

هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، والرسولُ محمدٌ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيُ الرحمة قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأمر الإسلامُ بالرحمة للخلق، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «ارحموا من في الأَرْض يرحمكم من في السَّمَاءِ»، رَوَاهُ أبو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لَمَّا سأله رَجُل فقال يا رَسُول الله: «إِنِّيْ أذبح الشاة وأرحمها، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: والشاةُ إن رحمتها رحمك الله»، رَوَاهُ الإمام أَحْمَد، فالإسلامُ دين الرحمة للخلق كلهم حتى الحيوانات العجماوات؛ ولذلك أخبرنا النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أن الله غفر لبغيٍ رحمت كلبًا رأتهُ يأكل الثّرى من العطش، فنزعت موقها فملأتهُ ماءً فأسقته، فغفر الله عَزَّ وجَلَّ لَهَا هذا الإسلام الْعَظِيم، وهذا الدين العظيم فيه هذا الحُسنُ الْعَظِيم؛ وهُوَ أَنَّهُ دينُ الرَّحْمَةِ، ويتفرع على ذلك أن من الرحمة فيه للخلق الحرصَ على نفعهم كما سيأتي بيانهُ إن شاء الله عَزَّ وجَلَّ.

والشيخ هنا قال: "وحثٌّ على منفعة نوع الإنسان"، فنعم في ديننا نفعُ الناس مما يُحمد، ومما يُثاب عليه الإنسان، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «خيرُ الناس أنفعهم للنَّاس»، رواه الضياءُ في المختارة، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «أحبُّ الناس إلىٰ الله أنفعهم للنَّاس»، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وذكرهُ الألباني في الصَّحِيحَةِ، فمن نفع الناس كان من خِيار الناس وأحبّهُ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى والحظوا أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قال: «أنفعهم للنَّاس»، وهذا يَشْمَلُ الناس جميعًا سواءً كانوا مسلمين، أَوْ كانوا غير مسلمين، وهذا حُسنٌ، وبهاءٌ، وجمالٌ، وكمالٌ في ديننا من أعظم المحاسن وأجملها.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فما عليه هذا الدِّيْن من الرَّحْمَةِ، وحُسنِ الْمُعَامَلَةِ، والدعوة إلىٰ الإحسان، وَالنَّهْيُ عَنْ كل مَا يضادُ ذلك هو الذي سيّرهُ نورًا وضياءً بين ظلمات الظلمِ، والبغي وسوءِ الْمُعَامَلَةِ، وانتهاك الحُرمات.**

(الشرح)

نعم مَا في الإسلام من الرَّحْمَةِ، وَالْإِحْسَانِ، والحثِّ على نفع الناس، والحثّ على الصدق مع الناس أَجْمَعِيْنَ، والحثِّ على حُسنِ المعاملة للنَّاس، كان كالنور الجاذب إلى الإِسْلَامِ، فدخل الناس في دين الله

أفواجًا بسبب حُسنِ مُعَامَلَة المسلمين للنَّاس، وغير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين إذا رأوا حُسن الإسلام إذا طُبِّق الإسلام كما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يحبّون الإسلام إلَّا مَنْ لَمْ يرد الله هدايته ويسلمون، وهذا من حِكْمِ ضرب الجزية على من أراد أن يعيش بين المسلمين من الكُفَّار ممن ليس من أهل الْبِلَادِ.

وإنما يدخل تحت حُكم المُسْلِمِيْنَ؛ فإنه إن رأى معاملة المسلمين يُرجى أن يدعوه ذلك إلى الإِسْلَامِ، وأن يدخل في الإِسْلَامِ، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ضرب لنا أروع الأمثلة؛ فإنه زار الصبي اليهودي الَّذِي مِرضَ ودعاه إلى الإسلام؛ لأن يُسلم فنظر الْصَّبِيُّ إلى أبيه أَوْ الغلام إلى أبيه، فقال لَهُ: أطع أبا القاسم فأسلم، فَقَالَ: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار فحُسنُ مُعَامَلَة المسلمين نورٌ يضيء صدور أعداء الإِسْلَامِ، ويجذبهم إلى حبِّ الإِسْلَامِ، ولربما إلى الإِسْلَام.

(المتن)

❑ **قَالَ: وهُوَ الذي جذب قلوب من كانوا قبل معرفته ألدَّ أعدائه حتىٰ استظلوا بظِلِهِ الظليل، وهُوَ الذي عطف وحنىٰ علىٰ أهله حتىٰ صارت الرَّحْمَة، والعفو، والإحسان يتدفق من قلوبهم علىٰ أقوالهم وأعمالهم.**

(الشرح)

وسيأتي إن شاء الله بعد قليل أنّ المسلمين يحبُّ بعضهم بعضًا، ويحرص بعضهم على نفع بَعْض.

(المتن)

❑ **قَالَ: وتخطّاهم إلىٰ أعدائه حتىٰ صاروا من أعظم أوليائه؛ فمنهم من دخل فيه بحُسنِ بصيرةٍ وقوة وجدان، وَمِنهُم: من خضع لَهُ، ورغب في أحكامه، وفضّلها علىٰ أحكام أهل دينه لِما فيها من العدل والرحمة.**

(الشرح)

أي: من الكُفَّار من عاش بين المُسْلِمِيْنَ، فظهر لَهُ حُسنُ الإِسْلَام بما رأهُ من رحمة، وحُسن مُعَامَلَةِ، فرأى أَنَّهُم يُهدون إِلَيهِ، ويعُطونه، ويرحمونه، ويدفعون عنه الاعتداء، فبان لَهُ حُسن الإسلام فأسلم، وَمِنهُم: من بقي على كفره، لكنه فضَّلَ أن يعيش بين المُسْلِمِيْنَ، وأن يُحكم عليه بالإسلام لِما رأى من العدل، والرحمة، وَالْإِحْسَانِ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: المثال الخَامِسُ: دينُ الإسلام هو دين الحِكْمَة، ودين الفطرةِ، ودين العقل وَالْصَّلَاحِ، والفلاح.

(الشرح)

هذا المثال الخَامِسُ من الأمثلة الكلية التي فيها محاسن الإِسْلَام، وهُوَ أَنَّهُ دينُ الحكمة، فهو محكمٌ، وفيه حِكمٌ؛ لأَنَّهُ تنزيلٌ من حكيمٍ عليم رؤوفٍ رحيم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، وهُوَ دينُ الفطرة؛ فاللهُ خلق الإنسان على الفطرة التي هِيَ الإسلام قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]

وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «مَا من مولودٍ إِلَّا يُولد علىٰ الفطرة فأبواه يهوّدانهِ، أَوْ ينصّرانهِ أَوْ يُمجّسانه». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، مَا من مولودٍ إِلَّا ويُولد على الفطرة، وإنما يكتسب صفة اليهودية بوالديه إن كانا يهوديين، وبتربيتهما، ويكتسب صفة النصرانية بوالديه إن كانا نصرانيين، فهو نصراني حتى يبلغ ونرى مَا يَكُوْن، أَوْ يسلم وبتربيتهما فيربيان على هذا، وكذلك في المجوسية. الحَدِيْث في الصحيحين.

والإسلام موافقٌ للفطرة، ولا يضادُ الفطرة أبدًا، وَلَكِنَّهُ يهذّبها، ويكمّلُها بما يليق بكرامة الإنسان، فمثلًا الشهوة في الإنسان فطرة، الشهوة في الإنسان ذكرًا كان أَوْ أنثى فطرة، ولم يحرَّم الإِسْلَامُ الشهوة، لَكِنَّهُ هذّبها، فشرع وضعها فيما يليق بكرامة الإنسان، ومكانة الإنسان، ومنع منها مَا لا يليقُ بكرامة الإنسان، الإسلامُ مَا حرّم على الإنسان مَا تدعو إليه فطرتهُ.

وَلَكِنَّهُ هذّب هَذِه الفطرة بما يصلح الإنسان، ويليق بكرامة الإنسان؛ وهُوَ أيضًا دينُ الْعَقْلِ، فما أمر الإسلام بشيء، وَقَال العقلُ: ليته لم يأمر بهِ، وما نهى الإسلام عَنْ شيءٍ، وَقَالَ العقلُ: ليته لم ينهَ عَنْهُ، ونقصد بالعقل العقل الصحيح السالم من التلوث بالشُبهات أَوْ الشَّهَوَات، وهُوَ دينٌ يأمر بالتّعقل، والتّفكر، والتدبر والنظر في الآيات الكونية، وهُوَ دين الْصَّلَاحِ والفلاح، أمر بالإصلاح، ونهى عَنْ الْإِفْسَاد.

وجاء الناس بكل مصلحةٍ، ونهاهم عَنْ كل مفسدة، والمصلحة يا إخوة هِيَ المصلحة الخالصة أَوْ الغالبة، إما أنها مصلحة مَا فيها مفسدة، وإما أنها مصلحة معها مفسدة، لكنَّ المَصْلَحَة أغلب والمفسدةُ هِيَ

الضرر والفسادُ الخالص، أَوْ الْغَالِب، أَوْ المساوي؛ لأَنَهُ إذا تساوت المَصْلَحَة، والمفسدة، فهذا مفسدة؛ لأن درء المفسدة عند العقلاء أولى من جلب المَصْلَحَة.

ولذلك الإنسان دائمًا يبدأ بدرء المُفْسِدَةِ، وأنا دائمًا أقرّب المسألة للإخوة بحال الطلاب في الاختبارات، إذا اختبر الطلاب ولقي الطالب الشيخ أول مَا يسأله، يقول الشَّيْخ: بشّرنا عسى مَا فيه رسوب، فإذا قال لَهُ الشَّيْخ: لَا، الحمد لله الجميع قد نجح، قال: عسى الدرجات طيبة، فينظر في المَصْلَحَة، فعناية العقلاء بدرء المفسدة مقدّمة على عنايتهم بجلب المصلحة، وهذا شأن الإِسْلَامِ، فما نهى الإسلام عَنْ مصلحةٍ خالصةٍ أَوْ غالبة، وإنما ينهى عَنْ المفاسد.

الله عَزَّ وجَلَّ مَا أمرنا بالمأمورات ليتعبنا لا والله، وإنما أمرنا بها ليصلحنا؛ لأن فيها خيرنا، وفيها نفعنا، في ديننا وَدُنْيَانَا، وما نهانا عَنْ شيءٍ ليحرمنا لا والله، وإنما نهانا عَنْ الأشياء التي نُهي عنها؛ لأن فيها ضُرّنا، وفيها مفاسد تعود علينا؛ ولذلك يا عبد الله إياك أَنْ تَعَارُض أمر الله برأيك وظنِّك أن فيه مَصْلَحَة، لا والله، وإياك أن تَعَارُض نهي الله برأيك أبدًا، إياك أَنْ تَعَارُض أمر الله برأيك وظنِّك أن فيه مفسدة، وإياك أن تَعَارُض نهي الله برأيك وظنِّك أن في المنهي عنه مصلحة أبدًا والله يَا عبد الله مَا أمرك الله بشيء إلَّا وفيه مَصْلَحَة، وما نهاك عَنْ شيء إلَّا وفيه مفسدة.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: يوضّحُ هذا الأصل مَا هو محتوٍ عليه من الأحكام الأصولية والفروع التي تقبلها الفطر والعقول، وتنقاد لها بوازع الحق وَالصَّوَابُ.**

(الشرح)

يَعْنِي مقصود الشيخ أَنَّهُ لا يوجد في الإسلام شيءٌ يخالفُ الفطرة السّوية، والعقل الصحيح أبدًا لا في كبيرٍ، ولا في صغير، بل لو عرضتَ الإسلام جزءًا جزءًا على الفطرة السّوية، والعقل الصحيح لقبل ذلك، بل لأستحسنه ورآهُ خيرًا؛ لأن مَا في الإسلام يا إخوة حُسنهُ يظهر للعقل، ولكنه على قِسْمَيْنِ:

✓ **قسمٌ يدرك العقل ابتداءً حُسنهُ، مِثْل: الصِدق، العقل يدرك أن الصدق حسن، ومثل: العفة العقل يدرك أن العفة حسنة.**

✓وقسمٌ يظهر للعقل حُسنهُ إذا جاء به الشَّرْعِ، العقل مَا يعرفه ابتداءً، لكن إذا جاء به الشَّرْعُ عرف العقلُ حُسنه وقبل حُسنه كما في تفاصيل الْعِبَادَاتِ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وما هِيَ عليه من الإحكام وحُسن الانتظام.

(الشرح)

أحكامُ الإسلامِ محكمةٌ، لا تتعارض، ولا تتدافع، وإنما يقع التعارض في اجتهادات العلماء، أما أحكامُ الإسلام، فلا تَعَارُض بينها، ولا تدافع بينها، بل هِيَ في غاية الإحكام، وفي غاية الانتظام.

(المتن)

❑ قَالَ: وأَنَهَا صالحةٌ لكل زمان ومكان.

(الشرح)

بل نَقُول: أنها صالحةٌ مَصْلَحَةٌ لكل زمانٍ ومكان، وهذا من حُسن الإِسْلَامِ؛ فإنك حيثما وضعته من الأرض أصلح، وكان صالحًا، ليس مقصورًا على أرضٍ، ولا على قومٍ، ولا على لونٍ، هو دينُ الجَمِيعْ، فحيث مَا وضعتهُ، ونقلته إلى مكان كان صالحًا لَهُ ومصلحًا لَهُ، وهذا من كمال هذا الدين وحُسنهِ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فأخبارهُ كلها حقٌ وصدق.

(الشرح)

مقصود الشيخ أن كل مَا جاء في القرآن وصحّت به السُّنَة، فهو صادق؛ صَحِيْح، ولا يمكن أن يردّهُ عقلٌ صَحِيْح، ولا علمٌ صَحِيْح.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: لم يأتِ ويستحيلُ أن يأتي علمٌ سابقٌ أَوْ لاحقٌ بما ينقضها أَوْ يكذّبها.

(الشرح)

بل هِيَ التي تنقضُ مَا يظنه بعض أهل الأرض علمًا؛ فإن بعض أهل الأرض قد يظنون شَيْئًا أنه علم مِثْل: نظرية أن أصل الإنسان قرد، هذا يظنه بعض الناس علمًا ويدّرسونه مع أن العقل لو سلم لردَّ هَذِه

النظرية أصلًا، كيف يرضى إنسانٌ أن يقول عَنْ نفسه إن أصلهُ قرد، الإسلام أبطل هذا العلم ونقضه، فإن أصل الإنسان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي خلقه الله عَزَّ وجَلَّ بيده من تراب الأَرْض فوق السَّمَاءِ.

إذًا من المحالِ أن ينقضَ علمٌ صحيح شيئًا جاء في القرآن أَوْ صحّت به السُّنَة، ولكنَّ القرآن والسُّنَة قد يُنقض بهما مَا يظنه بعض الناس علمًا.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وإنما العلوم الحقة كلها تؤازرها وتؤيدها، وهِيَ أعظم برهانٍ علىٰ صِدقها، وقد حقّقَ المحققون المنصفون أن كل علمٍ نافعٍ ديني، أَوْ دنيوي، أَوْ سياسي، فقد دَلَّ عليه القرآن دلالةً لا ريب فِيْهَا.**

(الشرح)

المقصودُ أنّ كل شيءٍ نافعٍ للناس قد دَلَّ عليه القرآن والسُّنَة، إما بالإجمالِ، وَإِمَّا بالتفصيل، وقد سمعتُ من شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في عدة مجالس قصةً وأظنُّ إني ذكرتها لكم حيث ذكر لنا في عدة مجالس أن رجلًا غير مسلم كان مع عالمٍ من علماء المسلمين في مطعم، فَقَالَ: أنتم تقولون في القرآن تبيان كل شَيْء، قال الله عَزَّ وجَلَّ: يَقُوْل هٰذَا، قال: فأخبرني كيف يُصنع هذا الطعام؟ قال: طيب، نادى صاحب المطعم، وَقَالَ: كيف يُصنع هٰذَا الطعام، قال: يُصنع كذا، وَكَذَا، قال: اسمع قال هذا ليس من القرآن، قال: بلى من القرآن، الله عَزَّ وجَلَّ يَقُوْل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. فالقرآن دلّنا إِمَّا على طريقة معرفة الخير، وَإِمَّا على تفصيل الخير، وكذا سُنَّة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فليس في شريعة الإسلام مَا تحيلهُ العقول، وإنما فيه مَا تشهد العقول الزكية بصِدقه، ونفعه، وصلاحه، وكذلك أوامره ونواهيه كلها عدلٌ لا ظلم فِيْهَا.**

(الشرح)

الإسلامُ قامَ على العدلِ، وأمر بالعدل، كُلُّ مَا في الإسلام عدلٌ لا ظلمَ فِيْهِ، وأمر بالعدل بين الناس، وتكليف الناس عدلٌ؛ لأن التكليف، إما أمر، وفيه منفعة، وإما نهيٌ، وفي فعل منهي عليه مفسدة، وفي امتثال النهي درءٌ لهذه المَفْسِدَةِ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فما أمر بشيء إلَّا وهُوَ خيرٌ خالصٌ أَوْ راجح، وما نهىٰ إِلَّا عَنْ الشرِّ الخالص، أَوْ الذي مفسدته تزيد علىٰ مصلحته.

(الشرح)

ونزيد القسم الثَّالِث: وهُوَ الذي مفسدته تساوي مصلحته، لكن يبدو والله أعلم أن الشيخ يختار القول أنه لا يوجد في الدنيا أمرٌ تتساوى مصلحتهُ مع مفسدته، وهذا اختيار ابن القيم رحمه الله والراجح والله أعلم أنه يُوْجَدْ، لَكِنَّهُ نسبيٌ، يعني قد أرى أنا أنها متساوية، وترى أنت أنّ المفسدة راجحة.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وَكُلَّمَا تدبر اللبيبُ أحكامه، ازداد إيمانًا بهذا الْأَصْل، وعلم أنه تنزيلٌ من حكيمٌ حميد.

(الشرح)

كُلَّما أعدت النظر، وكرّرت النظر في أحكام الإِسْلَامِ، كُلَّما ظهر لك فيها تمام الإحكامِ؛ فالإسلامُ كالسماء مهما أعدت النظر لن ترى فيها فطورًا، وكذلك دين الله.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: المثال السَّادِسُ: مَا جاء به هذا الدين من الجهادِ، والأمر بكل معروفٍ، والنهي عَنْ كل منكر.

(الشرح)

هذا المثال السادس من الأمور الْكُلِّيّةِ التي فيها محاسن الإِسْلَامِ؛ وهُوَ الجهاد في سبيل الله بصفتهِ، وأحكامهِ؛ فالجهاد الشَّرْعِيُّ بشروطه التي قرّرناها في الْفِقْه، وبيّناها من محاسن الإسلام، إذ هو إما دفاعٌ عَنْ الحَقِّ، وإما دفاعٌ عَنْ أهل الحق؛ **لأن الجهاد كما علمنا في الفقه نَوْعَانِ:**

- جهادُ طَلَبُ.
- وجهادُ دفع.

أما جهاد الطلبِ، فمقصوده الدفاع عَنْ الحَقِّ لإيصال الحق إلى الخِلقِ؛ لأن الظَلمة يمنعون وصول الإسلام إلى الناس، فالمسلمون يجاهدون لإيصال الحَقِّ إلى الخلق، يدافعون عَنْ الحَقِّ، وعن حق الخلق في

سماع الحَقِّ، وجهاد الدفع هو دفاعٌ عَنْ أهل الحق، وهذا أمرٌ يقرّهُ العقلاء، ويقبله الحُكماء، كَذَلِكَ الجهاد في الإسلام فيه حِكمٌ عظيمة، وإحسانٌ عظيم ليس كقتال غيرهم، ومن ذلك مثلًا حُسنُ معاملة الأسرى، فإن هذا مما يقرّرُ في كتب الفقه، ولو عدتم إلى شرحنا لكتاب الجهاد من دليل الطالب لرأيتم هَذِه المحاسن الكثيرة في الجِهَاد.

كَذَلِكَ من هذا الكلي الذي فيه محاسن الدِّيْن: "الأَمْر بالمعروف بمعروف، والنهي عَنْ المنكر بغير منكر"، فهو دَلَالَةٌ على الخير، ونهيٌ عَنْ الشرّ، قال تَعَالَىٰ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

فيقول قائل مِنْكُمْ: لماذا جمع الشيخ بين الجهادِ، والأمر بِالمَعْرُوفِ، والنهي عَنْ المُنْكَرِ؟ نَقُول: لأَنَّهُ يجمع الجهادَ، والأمر بِالمَعْرُوفِ، والنهي عَنْ المنكر دفعُ الشرِّ؛ ففي الجهاد دفعُ الشرِّ الحسِّي، وفي الأَمْر بِالمَعْرُوفِ، والنهي عَنْ المنكر دفع الشر المَعْنَوِيُّ الذي هو المَعَاصِيَ.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فإن الجهاد الذي جاء بِهِ مقصودٌ به دفع عدوان المعتدين علىٰ حقوق هذا الدين، وعلىٰ ردِّ دعوته، وهُوَ أفضل أنواع الجهاد لم يُقصد به جشعٌ، ولا طمعٌ، ولا أغراض نفسية.**

(الشرح)

نَعَمْ، الجهاد في سبيل الله لا تُقصد به الدنيا، بل إنّ المجاهد في سبيل الله شرطُ جهاده أن يقصد بذلك وجه الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، فلا تُراد به الدنيا، وإنما يُراد به الخير، والدفاع عَنْ الحَقِّ، ولا اعتداء فِيْهِ، ولا ظلم فيه؛ لأن الإسلام ينهى عَنْ الاعتداء، وينهى عَنْ الظلم.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ومن نظر إلىٰ أدلة هذا الْأَصْل، وسيرة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وأصحابه مع أعدائهم عرفِ بلا شكٍ أن الجهاد في الْضَّرُورِيَاتِ، ودفع عادية المعتدين.**

(الشرح)

يدخل في الضروريات؛ لأن في الجهاد حفظَ الْدِّيْن، وحفظ الْدِّيْنِ أعلى الْضَّرُورِيَاتِ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وكذلك الأَمْر بالمعروف والنهي عَنْ المنكر لَمَّا كان لا يستقيم هذا الدين إِلَّا باستقامة أهلهِ علىٰ أصولهِ وشرائعه، وامتثال أوامره التي هِيَ الغاية في الْصَّلَاحِ.

(الشرح)

وهذا يَحْتَاجُ إلى الأَمْر بِالمَعْرُوفِ.

(المتن)

❑ قَالَ: وامتثال أوامره التي هِيَ الغاية في الْصَّلَاحِ، واجتناب نواهيه التي هِيَ شرٌّ وفسادٌ.

(الشرح)

وهذا يَحْتَاجُ إلى النَّهْيُ عَنْ المُنْكَرِ.

(المتن)

وكان أهله ملتزمين لهذه الْأُمُور، ولكي لا تُزيّنَ لبعضهم نفوسهم الظالمة التجرؤ علىٰ بعض المُحَرَّمَات، والتقصير عَنْ أداء المقدور عليه من الْوَاجِبَاتِ، وكان ذلك لا يتم إِلَّا بأمرٍ ونهي بحسب ذلك، كان ذلك من أجلِّ محاسن الدين، ومن أعظم الضروريات لقيامه. كما أن في ذلك تقويم المعوّجين من أهله، وتهذيبهم، وقمعهم عَنْ رذائل الْأُمُور، وحملهم علىٰ معاليها.

(الشرح)

إنكار المُنْكَر كما عرفنا مرارًا دَرَّجَاتِ، وبحسب المنكِر، فقد يكون باليد، وقد يكون باللسان، وقد يكون بالقلب، وكله إنكارٌ للمنكر، وقد فصّلنا هذا في شرحنا على الأربعين النووية، وبيَّنا حُسنَ الإِسْلَام في هذا الباب الْعَظِيم.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وأما إطلاقُ الحرِّية لَهُم، وهم قد التزموه ودخلوا تحت حُكمه، وتقيّدوا بشرائعه فمن أعظم الظلم والضرر عليهم، وعلىٰ المجتمع خصوصًا الْحِقُوْقَ الواجبة المطلوبة شرعًا، وعقلًا وعُرفًا.

(الشرح)

لا يَصْلُح الناس أن يتركوا هَملًا، لا يؤمرون، ولا يُنهون، ولا يزجرون، ولا يُعاقبون من قِبلِ من لَهُ الحَقُّ في العقوبة؛ لأَنَّهُ لو تُرك الناس هكذا لقلَّ الخيرُ، وكثر الشرُّ، وعظمَ الفساد، وأصبح الناس فوضى لا سُراة لهُم، ولا خيرَ يجمعهم، ولا زاجر يزجرهم، وفي هذا الفساد العظيم، وهذا يُبَيّن لك حُسنَ الدِّيْن في أمرهِ بالأمر بِالمَعْرُوفِ، والنهي عَنْ المُنْكَرِ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: المثال السَّابِعُ: مَا جاءت به الشّرِيعَةُ من إِبَاحَةِ البيوع، والإيجارات، والشركات وأنواع المعاملات التي تُتبادل فيها المعاوضات بين الناس في الْأَعْيَانِ، وَالْدِيُونِ، والمنافع وَغَيْرِهَا.

(الشرح)

هذا المثال السابع للأمور الْكُلِّيَّةِ الَّتِي فيها محاسن الإِسْلَامِ، وهُوَ أن الإسلام وسّع للناس في معاملاتهم، ولم يضيّق عَلَيْهِمْ؛ فالأصلُ في المعاملات الإِبَاحَة، وإنما منع الإسلام من المعاملات مَا فيه مفسدة، مَا فيه غشٌّ، أَوْ غررٌ، أَوْ ظلم، مَا حرَّم الإسلام من المعاملات إلَّا مَا فيه غش، أَوْ فيه غررٌ أَوْ فيه ظلمٌ، ووسّع على الناس في معاملاتهم، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «إِنَّ أعظم المسلمين جُرمًا من سأل عَنْ شيء لم يُحرّمْ، فُحرِّم من أجل مسألته». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دَلَّ ذلك على أنه لو لم يسأل لكان مباحًا، وإنما حُرّمَ من أجل مسألته، وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «مَا أحلَّ الله في كتابه، والحرام مَا حَرَّم الله في كتابه، وما سكت عنه، فهو مما عفا عَنْهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَابْنِ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ، فدلَّ ذلك على أن الأصل في المعاملات الإِبَاحَةِ والتوسعة، وهذا غايةُ الحُسنِ، فَإِنَّ الناس تختلف حاجاتهم، وتتنوع معاملاتهم، فلو ضُيّق على الناس في المعاملات لوقعوا في حرج ومشقة، لكنَّ الإِسْلَامِ وسَّع عَلَيْهِمْ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فقد جاءت الشريعة الكاملة بحلِّ هذا النَّوْعُ، وإطلاقِهِ للعباد لاشتماله علىٰ المصالح فِي الْضَّرُورِيَاتِ، والحاجيات، والكماليات.

(الشرح)

الْمَصَّالِحُ على ثَلاثَةِ أقْسَام:

- ضروريات.
- وحاجيات.
- وتحسينيات.

والمصالح الضرورية أعلى الْمَصَّالِحْ، وهِيَ التي لو فُقدت لهلك الناس، أَوْ وقعوا فيما يُشبه الهلاك، وهِيَ خَمْسَةِ: (حِفظُ الْدِّيْنِ، وَالنَفْسِ، والنسلِ، والعقل، والمال)، هَذِه المصالح الضرورية والحاجيات هِيَ المصالح التي لو فُقدت لوقع الناس في حرج، كمصلحة قصر الصلاة للمسافر ومصلحة الفِطر للمريض؛ فإنها لو لم تُشرع لوقع الناس في حرجٍ، ومصلحة الإجارة؛ فإنها لو لم تُشرع الإجارة لوقع الناس في حرج.

وأما الكماليات، أَوْ التحسينيات؛ فهي المصالح والمنافع التي لا يُوقع فقدُها في الهِلاكِ، ولا في الحرج، لكن فيها تزيينٌ للحياة، وتكميلٌ للحياة، كأكل أنواع الفواكه، أكلُ أنواع الفواكه، هَذِه مصلحة تكميلية، فإن الإنسان لو لم يأكل الفاكهة مَا يهلك، ولا يقع في مَشَقَة، وهذه الْمَصَّالِحُ أغلبها إنَّمَا يُحصلُّ بالمعاملات، فُوسِّع على الناس فيها لتعلق المصالح بِهَا، أعني وُسِّع على الناس في المعاملات لتعلّق المصالح بِهَا.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وفسحت للعباد فسحًا صلُحت به أمورهم، وأحوالهم، واستقامت معايشهم وشرطت الشّرْيِعَةُ في حلِّ هَذِه الأشياء الرضا من الْطَّرَفَيْنِ.

(الشرح)

شرطت الشريعة في حلِّ المعاملات أمورًا تدفع الضرر، مِنْهَا: الرضا من الْطَّرَفَيْنِ، إنَّمَا البيع عَنْ تراضٍ، فلابد من رضا البائع، ولابد من رضا المشتري حتى يصحَّ الْبَيْع.

(المتن)

❑ قَالَ: واشتمال العقود علىٰ العِلم.

(الشرح)

اشترطت الشريعة لحلِّ المُعَامَلَاتِ، عدم الجهالة؛ فالجهالة في المعاملات ممنوعة.

(المتن)

❑ قَالَ: ومعرفة المعقود عليه كَذَلِكَ، وموضوع الْعَقْد، ومعرفة مَا يَتَرَتَّبُ عليه من الْشُّرُوط.

(الشرح)

لَا بُدَّ أن تكون الشروط معلومة حتى تكون معتبرة.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ومنعت من كُلِّ مَا فيه ضررٌ، وظلمٌ من أقسام الميسر، والربا، والجهالة[1]، فمن تأمل المعاملات الشَّرْعِيَّة رأىٰ ارتباطها بصلاح الْدِّيْنِ والدنيا.

(الشرح)

أما ارتباطها بصلاحِ الدين، فإن الإنسان إذا لزم الشرع في المعاملات يُثَابُ على ذلك، ويكون مالهُ حلالًا، وللمال الحلال أثرٌ في صلاح الدين كما أن للمال الحرام أثرًا في فساد الْدِّيْنِ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وشهدَ لله بسعة الرَّحْمَةِ، وتمام الحِكْمَة، حيث أباح سبحانهُ لعباده جميع الطيبات من مكاسب، ومطاعم، ومشارب، وطرق المنافع المنظمة المَحْكَمَةِ.

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: المثال الثَّامِنُ: مَا جاءت به الشّرْيعَةُ من إباحة الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وَغَيْرِهَا.

(الشرح)

هذا المثال الثامن للأمور الْكُلِّيَّةِ التي فيها محاسن الإِسْلَامِ، وهِيَ محاسن وهُوَ التوسعةُ على الناس في العادات، وما هِيَ العادات؟ العاداتُ كل أمرٍ منفعته دُنْيَوِيَّة، (اللباس، الأكل، الشرب من العادات)،

---

(١) كما قدّمنا.

فَالأَصْلُ في الأشياء النافعة الإِبَاحَةِ، فأباح الله الطيّبات لتطيب الْحَيَاةِ، وحرّمَ الخبائث وما يضرُّ، وفي هذا توسعةٌ على الناس، ومنعٌ لِما يضرهم، يا إخوة البلدان تَخْتَلِفْ، والأراضي تختلف، فلو كان المباح من العادات منصوصًا عليه لوقع الناس في حرج، أَلَا ترون تنوّعَ الألبسة؛ لأن حاجة الناس تَخْتَلِفْ، أناسٌ في بلد يحتاجون الملّونَ، وأناسٌ في بلد يحتاجون الأبيض، وأناسٌ يحتاجون غطاء الْرَّأْسِ، وأتكلم عَنْ الرَّجُل، وأناسٌ تكون حاجتهم كشف الرأس، فلو ضُيّقَ على الناس في هذا لوقع الناس في حرج.

فَالأَصْلُ أن كل طيّبٍ نافعٍ من لباسٍ، أَوْ أكلٍ، أَوْ شربٍ، أَوْ غير ذلك من أمور الدُّنْيَا، الْأَصْلُ أنه مُبَاح، ومن حَرَّم شَيْئًا من ذلك طالبناه بِالْدَّلِيلِ، أَوْ المانعِ كأن يكون خبيثًا، أَوْ يكون ضارًا وإلا رددنا قوله، فالمباحُ من العادات واسع، والمحرّمُ قَلِيْل.

قال الله عَزَّوجَلَّ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. الله أَكْبَرُ.

انظر: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤٥]؛ إِذًا الْأَصْل في الطعام الحِلّ إِلَّا أن يكون ميتةً، أَوْ دمًا مسفوحًا، أَوْ لحم خنزير، أَوْ فسقًا أُهِلَّ لغير الله به؛ لأن هَذِه ضارة؛ ولذلك قُلْنَا: الضار محرّم: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

سبحان الله حتى مع كون المُحَرَّمَات من أمور الدنيا قَلِيْلَة، لو اُضطّر إليها الإنسان تُباح لَهُ، وقال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، والشاهدُ؛ أن الله علّق الأكل بالطيبِ، فهذه عِلَةُ حِلّهِ، وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤]، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فدلَّ هذا على مَا قرّرناه أن الْأَصْلَ في عادات الناس من أكلٍ، وشربٍ، ولباسٍ، ومركوبٍ، وغير ذلك الحِلّ إِلَّا إِذَا كَانَ خبيثًا، أَوْ كان ضارًا، وهذا في مصلحة الإنسان أن يُحرَّم عليه الخبيث، وأن يُحرَّم عليه الضار.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فكلّ طيّبٍ نافعٍ، فقد أباحه الشارع من أصناف الحبوب، والثمار، ولحوم الحيوانات البحرية مطلقًا، والحيوانات البرية، ولم يمنع من هذا إِلَّا كل خبيثٍ ضار علىٰ الدين أَوْ الْعَقْلِ، أَوْ البدن، أَوْ الْمَالِ، فما أباحهُ؛ فَإِنَّهُ من إحسانهُ سبحانه ومحاسن دينه، وما منعه؛ فإنه من إِحْسَانه، حيث منعهم مما يضرهم.

(الشرح)

مَا أباحهُ من إحسانه؛ لأَنَهُ لمصلحة الناس، وما منعهُ منها من إحسانه؛ لأن فيها ضررًا بالناس فالله أحسن إليهم بأن منعهم مِنْهَا.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وما منعهُ؛ فإنه من حيث منعهم مما يضرّهم، ومن محاسن دينه، حيث إن الحُسْنَىٰ تابعٌ للحِكمة، وَالمَصْلَحَة، ومراعاة المضار، وكذلك مَا أباحهُ من الأنكحة، وأن للعبد أن ينكِح مَا طاب لَهُ من النساء مَثْنَىٰ، وثلاث، ورباع لِما في ذلك من مصلحة الْطَّرَفَيْنِ، ودفع ضرر الجانبين.

(الشرح)

الْنِّكَاح مشروعٌ في دِيْنَنَا، وهُوَ من سُنَّة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، ومن سُنَّة الأنبياء عليهم السلام من قبله، والله عَزَّ وجَلَّ أباحَ للرجل أن ينكح مَا طاب لَهُ من النساء مَثْنَىٰ، وثلاث، ورباع قال تَعَالَىٰ: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣].

لكن انظر مَاذَا قال الشَّيْخ، قال لِما في ذلك من مصلحة الْطَّرَفَيْنِ، ودفع ضرر الجانبين، وشيخنا يتكلم عَنْ الْنِّكَاحِ سواء تزوج وَاحِدَة، أَوْ تزوج الرجل ثنتين، أَوْ تزوج الرجل ثلاثًا، أَوْ تزوج الرجل أربعًا، فيه مصلحة للطرفين، بل من لطيف فقه شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أنه عدّد مصالح ترجعُ على الزوجة الأُوْلَى من زواج الزوج بزوجة ثَانِيَة، مع أن الشيخ مَا عدّد، ونظّمَ العلاقة بين الزوجين، فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وَقَالَ: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ولم يبُح للعبد الجمع بين أكثر من أربع حرائر لِما يَتَرَتَّبُ علىٰ ذلك من الظلم وترك العدل.

(الشرح)

الله أعلم بعباده، فَلَمَّا منع من أن يتزوج الرجل خمسًا أَوْ ستًا، عَلِمنا أن في ذلك مفسدة، وأن الرجل لا يستطيع العدل مع ذلك.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مع أنه حثّهُ عند خوف الظلم، وعدم القدرة علىٰ إقامة حدود الله في الزوجية علىٰ الاقتصار علىٰ وَاحِدَة، حِرصًا علىٰ نيل هذا المَقْصُودُ.

(الشرح)

الإسلام لم يطْلُقُ للرجل العِنانَ في أن يتزوج ثَانِيَةً، ثالثة، ورابعة، وإنما قيّدَ هذا بالعدل، فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ٣]، إن خفتم أَلَّا تعدلوا العدل الواجب فواحدة، ولن تستطيع أن تعدلوا بين النساء، ولو حَرِصتم، أي: في محبة القلب، فهذا لَا يملكهُ الإنسان، وجعل الظلم بعد التعدد معصيةً وكبيرةً من كبائر الْذُّنُوبِ، يعني قبل أَنْ يعدّد الرَّجُل، قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

قال الفُقَهَاء: إن خشيَ من نفسه عدم العدل، ذكرت لكم في الفقه إذا قُلْنَا: إن خشي معناه يمكن وَيُمكِنْ، إن خشي من نفسه عدم العدل؛ فالتعدد في حِقّه مكروهٌ، وإن علم من نفَسهِ عدم العدلِ فالتعدد في حَقهِ محرّم، فإذا عدّد جعل الشرع الظلم لإحدى الزوجتين كبيرةً من كبائر الْذُّنُوبِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «من كانت لَهُ امرأتان، فمال إلىٰ إحداهما يوم القيامة وشِقهُ ساقط»، وفي رِوَايَة: «وشِقهُ مائل»، رَوَاهُ الْخَمْسَةِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وهذا من محاسن الإِسْلَامِ، مَا منع التعدد، فإن في منع التعدد فسادًا عريضًا، يعود على الرَّجُل، ويعود على النِّسَاءِ، وما أطلق التعدد، وهذا من محاسن الإِسْلَامِ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وكما أن الزواج من أكبر النِّعَمِ.

(الشرح)

الزواج نعمة وآية، كما قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، هو آيَة، وهُوَ أيضًا نِعْمَة، ففيه المودة، وفيه الرَّحْمَةِ، وفيه السكن، وفيه الطمأنينة، فهو نِعْمَة.

(المتن)

❑ قَالَ: وَكَمَا أَنَّ الزواج من أكبر النِّعَمِ، ومن الْضَّرُورِيَاتِ، فإباحة الطلاق كَذَلِكَ.

(الشرح)

إِبَاحَةُ الطلاق نعمة بشرط إحسان هذا الأَمْر؛ لأَنَهُ قد تضيق الحياة بين الزوجين، فتصبح المرأة للرجل شقاءً، فلو لم يُشرع الطلاق كما عند النصارى لوقع الرجل في ضيقٍ شديد، وترتبت على ذلك مفاسد نراها اليوم عند القوم، بل من حُسن الإسلام أنه حتى الْمَرْأَة إذا ضاقت عليها الحياة مع الرَّجُل، وخافت أن لا تقيم حدود الله، وأبى الرجل أن يطلّقها أن لها أن تخالعهُ، وأن تفدي نفسها بمالٍ.

طيب، يقول قائل: لماذا كان الطلاق بلا مَال، والخُلع بمال؟ نَقُول: هذا من محاسن الإسلام؛ لأن الذي يطلّق هو الزوج، وقد دفع المهر، وأما الذي يخالع؛ فهو المرأة، وقد أخذت مهرًا من الزوج فالإسلامُ في هذا كله مَحَاسِنْ.

قال: فإباحة الطلاق كَذَلِكَ خشية عيشة الإنسان مع من لا تلائمهُ، ولا توافقهُ، واضطراره للبقاء في ضنك الحال، وشدة العُسر: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠].

فإذا نظرت في أحكام الإسلام حتى بعد الطلاق، تجد فيها حُسنًا: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، انظر الحُسن في الإِمْسَاكُ، الإمساك بِالمَعْرُوفِ، وانظر التسريح، التسريح بِإِحْسَان، ثم بعد الطلاق: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

فالإسلامُ كله محاسن في هذا البَاب، نقف عند هَذِه النُقْطَة، ونكمل غدًا إن شاء الله الدرس الأول قبل الظهر الساعة الحادية عشر والنصف إِنْ شَاءَ اللهُ، والدرس الثاني بعد الظُّهْرِ، والدرس الثالث بعد الْعَصْرِ، نختم فيه الرسالة إن شاء الله عَزَّ وجَلَّ تقبل الله من الجَمِيعْ، وحقق لِلْجَمِيْع الآمال، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد

المجلس (٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بعد؛

فنواصل شرحنا لرسالة: (**الدُرة المختصرة في محاسِن الدين الإسلامي**) للإمام المُفسِر، الفقيه، الأصولي، المتفنن: عبد الرحمن بن ناصر بن سِعدي السَعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وسائر علماء المسلمين، وقد فرغنا بحمد الله في مجالس الأمس من شرح ثمانية أمثلة من الأمثلة الَّتِي أوردها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

ونُكمِل شرح ما ذَكَرَه الشيخ في هٰذِه الرسالة في مجالس اليوم، سائلين الله عَزَّوَجَلَّ القبول والنَفع لنا ولغيرنا، فليتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

❑ **قَالَ الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته: (الدُرة المختصرة في محاسِن الدين الإسلامي): المِثال التَّاسِع: ما شرعه الله ورسوله بين الخلق من الحقوق الَّتِي هي صلاح وخير وإحسان وعدل وقسط وترك للظلم**

(الشرح)

☜ **هذَا المِثال التَّاسِع من الأمثلة الكلية الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي في ذاتها من محاسِن الإسلام.**

وهو: أن الإسلام دين الحقوق فجعل بين الناس حقوقًا تطيب بأدائها الحياة، ولو فقدها الناس لحل عليهم الشقاء، والجفاء، كما هو ظاهرٌ في المقارنة بين المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى الَّتِي تفقد هٰذِه الحقوق، وتعيش أفرادها في جفاءٍ وجفاف، وفي شقاءٍ وفي ضنك.

فإن الإنسان مهما بلغ بحاجةٍ إِلَىٰ غيره، ولذا هٰذَا الدين الكامل دين الله عَزَّوَجَلَّ الَّذِي رضيه وأتم به النِعمة جاء به الحقوق، وَهٰذِه الحقوق منها: حقوقٌ عامةً للمسلمين، كما في الحديث: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ**

لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفقٌ عليه.

وعند مسلم: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا»، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»، فَهٰذِه حقوقٌ عامة بين المسلمين، أولها: حق الأخوة، ويتفرع عنه بقية الحقوق.

فمن حق المسلم عَلَىٰ المسلم: ألا يظلمه، ومن حقه: ألا يسلِمه لعدوه، ومن حقه: ألا يخذله حيث يحتاج أن ينصره، ومن حقه: ألا يحتقره، بل يعرف له قدره، ويعرف له فضله، ومن حقه: أن يحفظ عليه نفسه وماله وعِرضه فلا يعتدي عليه، وكذلك النُصح لكل مسلم من الحقوق العامة، وَهٰذَا بابٌ واسعٌ جدًا.

ومنها: حقوقٌ خاصة لبعض المسلمين، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وَهٰذِه الآية تُسمى: بآية الحقوق، فيها حقوقٌ عشرة لبعض المسلمين، وكذلك قول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفقٌ عليه، فَهٰذِه حقوقٌ خاصة؛ حقٌ للجار، وحقٌ للضيف.

بل ومنها حقوقٌ للكفار عامة، فليست الحقوق في الإسلام حقوقًا للمسلمين فَقَطْ بل منها حقوقٌ للكفار عامة، منها: عدم ظلمهم، وعدم الاعتداء عليهم، والإحسان إليهم ما لم يقاتلوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، فَهٰذَا من حقوق الكفار العامة إِذَا لم يقاتلوا، ولم يُخرِجوا المسلمين من ديارهم أن يُبروا، وأن يُقسَط إليهم.

ومنها: حقوقٌ خاصةٌ لبعض الكفار، كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤-

١٥]، فَهٰذَا حقٌ للوالِد الكافر: أنه لا يُطاع فيما يدعوا إليه من الشر والكُفر، ولكنه يُحسَن إليه ويُصاحَب في الدنيا بالمعروف.

وَهٰذَا ما يميز الإسلام -كَمَا ذَكَرْت- سابقًا: إِذَا قارنت بين الإسلام وبين ما يعيشه بقية الأنام عَلَىٰ وجه الأرض من الجفاء والجفاف والحاجة وخاصة: عِند كِبر السِن، حَتَّىٰ أنهم أحدثوا نوعًا من التأمين عندهم يسمونه: تأمين نهاية العُمر حَتَّىٰ تقوم الشركات بتنظيفهم أَوْ أخذهم إِلَىٰ الحدائق أَوْ غير ذلك في آخر أعمارِهم.

وقد رأينا بأعيننا كِبار السن وهم يعيشون وحدهم في بيوتهم لا أحد معهم، مع وجود أبناء لهم في المدينة نفسها، ولكنهم ينفصلون عن بعضهم انفصالًا تامًا، حَتَّىٰ أني سألت في أمريكا رجلًا كبيرًا في السن يعيش وحده هل لك أولاد؟ قَالَ: نعم، قلت: أين هم؟ قَالَ: يعيشون في المدينة، قلت: هل يزورونك؟ قَالَ: أخر مرة زاروني قبل أربعة سنين، وَهٰذَا ظاهرٌ جدًا.

فنحمد الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ نعمة الإسلام، وعَلَىٰ هٰذَا الدين الَّذِي كله محاسِن وكله خير، والحظوا هٰذَا الملمح يا إخوة: الإسلام ليس دين عبادة فَقَطْ، الإسلام دينٌ شاملٌ وكامل، حَتَّىٰ الحقوق بين الناس الَّتِي تطيب بها الحياة أعتنى بها ونظمها ووضحها، وأمر بها وجوبًا أَوْ استحبابًا، وجعلها من القُرَب الَّتِي يُثاب عليها الإنسان.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك كالحقوق الَّتِي أوجبها وشرعها للوالدين والأولاد والأقارب والجيران والأصحاب والمعاملين، ولكل واحدٍ من الزوجين عَلَىٰ الآخر، وكلها حقوق ضروريات وكماليات.**

(الشرح)

نعم كلها حقوق فيها مصالح ضرورية، ومصالح حاجية، ومصالح كمالية، فَهٰذِه الحقوق تحقق للناس المصالح، وَهٰذِه المصالح قد تكون ضرورية إذ تتوقف عليها الحياة أحيانًا، وقد تكون حاجية، وقد تكون تكميلية تزيينية تحسينية تَحسُن بها الحياة وتطيب بها الحياة.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وكلها حقوق ضروريات وكماليات، تستحسنها الفطر والعقول الزاكية.

(الشرح)

وَهٰذَا يعود إِلَىٰ ما تقدم: أن الإسلام دين الفِطرة، ودين العقل، فكل ما فيه تقبله الفِطرة السوية، والفِطرة السوية: هي الَّتِي لم تتلوث بما أحدثه الناس، يعني مثلًا: قد يكون في بعض بُلدان المسلمين أهل المدن تعودوا عَلَىٰ أشياء وصاروا يقبلونها لجهلٍ وتلوث فِطرة، كتبرج النِساء، لكن لو جاء رجل من الريف أَوْ امرأة من الريف لم يرى المدينة قط فرأى هٰذَا الَّذِي هو في بعض المُدن مقبولًا لاستنكر هٰذَا بفِطرته السوية الَّتِي لم تتلوث بما اعتاده الناس.

وكذلك العقول الصحيحة الَّتِي لم تغلبها الشهوة؛ لأن العقل أحيانًا تغلبه الشهوة فيمرض، أَوْ تغلبه الشُبهة فيمرض، أَمَّا العقول الصحيحة الَّتِي لم تتلوث بهذا فإنه تقبله، ولذلك مثلًا: حقوق ولي الأمر المسلم مهما كان حاله ما دام أنه مسلم الَّتِي جاء بها الإسلام، أصحاب العقول السليمة الصحيحة يرون فيها الخير، ويرون في ضدها الشر، وأنها تجلب الفساد؛ أعني: ضدها.

لكن أصحاب العقول الَّذِينَ تلوثوا بالشُبهة ورُبوا عَلَىٰ غير السُّنَّة ما يقبلونها، ويقبِحونها، ويصفونها بصفاتٍ قبيحة، فنحن نقول بحمد الله: كل شيءٍ جاء في كتاب الله أَوْ صح عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الفِطر السليمة والعقول الصحيحة تقبله، وترى حُسنه، ومن ذلك هٰذِه الحقوق الَّتِي جاء بها الإسلام.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وتتم بها المخالطة، وتُتَبادل فيها المصالح والمنافع، بحسب حال صاحب الحق ومرتبته.

(الشرح)

تتم بها المخالطة فالإنسان كما يُقال: مدنيٌ بطبعه، يحتاج إِلَىٰ مَن يشاركه في هٰذِه الحياة، ويُخالطه، ويُعاشره، فإذا حُفِظت الحقوق حسُنَت العِشرة وطابت المُخالطة، وحصلت المصالح، وتعاون الناس عَلَىٰ خيرهم بأداء هٰذِه الحقوق.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وكلما تفكرت فيها رأيت فيها من الخير وزوال الشر، ووجدت فيها من المنافع العامة والخاصة والأُلفة وتمام العِشرة ما يشهدك أن هذه الشريعة كفيلة بسعادة الدارين.

(الشرح)

نعم السعادة كلها في دين الله، السعادة يا إخوة هِبة من الله، مَن لم يُسعِده الله فلن يسعَد، قد يجمع الإنسان الأموال الكثيرة الَّتِي يترفه بها ترفهًا كبيرًا، ومع ذلك من الداخل لا يكون سعيدًا، لا يسعَد لأن الله لم يهَب له السعادة، فالسعادة هِبة من الله وتحصُل بدين الله، فكلما كان الإنسان أشد استقامةٍ وثباتًا عَلَىٰ دين الله كلما كان أسعَد.

هٰذَا الدين فيه السعادة والفوز في الدنيا والآخرة، مَن تمسك به حصلت له السعادة في الدنيا، ومن أسباب السعادة: أن يجد مَن يؤاخيه ويعينه عَلَىٰ أموره ويفوز في الآخرة ويكون من السعداء، السعادة بدين الله تحصُل بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، والله إن اجتناب النواهي فيه سعادة؛ لأن الإنسان لو فعل الحرام فتلذذ لحظةً سيعقُب ذلك من الحسرات والعقوبات العاجلة من الله ما يجعل حياته تضيق به.

أَمَّا إِذَا لزِم دين الله فإنه يعيش سعيدًا لا يقلق، وتطمئن نفسه ويعيش في سكينه، فَهٰذَا الدين كفيلٌ بسعادة الدارين، ولذلك البيوت الَّتِي تقوم عَلَىٰ دين الله هي أسعد البيوت، وأبرك البيوت، وإن كان أهلها فقراء يعيشون في سعادة بدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وترىٰ فيها هٰذِه الحقوق تجري مع الزمان والمكان والأحوال والعُرف.

(الشرح)

هٰذَا ملمحٌ عظيم من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، هٰذِه الحقوق ليست مُقولبةً وليست جامدةً، فلم يُنص عَلَىٰ تفصيلها وَإِنَّمَا جاءت مُطلقة، ويُعمل بها من جهة التفصيل بحسب اختلاف الزمان، لا شك أن زماننا ليس كزمان أجدادنا، وكذلك باختلاف المكان؛ فحاجة الناس مثلًا في المدينة ليس كحاجة الناس مثلًا في المغرب أَوْ في كذا.

وكذلك أعراف الناس تختلف؛ لأن العُرف يتبع الحاجة، العُرف أصلًا إِنَّمَا ينشأ من الحاجة فيتعارف عليه الناس، هٰذِه الحقوق مثلًا: الإحسان إِلَىٰ الوالدين، كيف يكون الإحسان إِلَىٰ الوالدين؟ جاء مطلقًا

فكل ما يسمى إحسانًا عند الناس دخل في هٰذَا، صِلة الرحِم كيف توصَل الرَحِم؟ كل ما كان عند الناس صِلة دخل في هٰذَا.

فَهٰذِه الحقوق صالحةٌ لكل زمانٍ ومكان، ومناسبةٍ لكل عُرفٍ، وَهٰذَا من كمال هٰذَا الحُسن في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وتراها محصلة للمصالح، حاصلًا فيها التعاون التام عَلَىٰ أمور الدين والدنيا جالبة للخواطر.**

(الشرح)

نعم جالبة للخواطر فَهٰذِه الجملة أَوْ شِبة الجملة حيرتني وقفت عندها كيف تجلب الخواطر؛ المعنى: قلقٌ عندي، حاولت أن أرجع إِلَىٰ بعض نُسخ الرسالة وجدتها هكذا، لكن وجدت الشيخ الفاضل الشيخ: عبد الرزاق البدر وأنعِم به من شيخ وقف عند هٰذِه الجملة وَقَالَ: أظنها جابرةً للخواطر، والحقيقة: أنها بهذا يكون معناها واضحًا، وَهٰذَا لفظٌ مستعمل عندنا فنقول: جبر الخواطر، وجبر خاطرة وهي مناسبة، أَمَّا جلبها للخواطر، فمعنى جلب الخواطر عندنا: الوسوسة، والهموم، والتفكير ونحو ذلك.

فما وجه الشيخ عبد الرزاق الكلام به وجيه، لكن لا أدري هل هو موجود في نُسخ أَوْ لا، الشيخ عبد الرزاق قَالَ: إنه يرى هٰذَا في توجيه هٰذِه الجملة.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مزيلة للبغضاء والشحناء.**

(الشرح)

نعم تراها مسببةٌ للمحبة دافعة للبغضاء، وَلَا شَكَّ في هٰذَا.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهٰذِه الجُمَل تُعرَف بالاستقراء والتتبع لها في مصادرها ومواردها.**

(الشرح)

يعني أني إِنَّمَا ذكرت لك الكلية، أَمَّا التفصيل والجزئيات فإنك تجدها في مواطنها من كتب الأدب، وكتب الأخلاق، وكتب السُّنَّة ونحو ذلك.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: المثال العَاشِر: ما جاءت به الشريعة من انتقال المال والتركات بعد الموت، وكيفية توزيع المال علىٰ الورثة.

(الشرح)

☜ هذَا المِثال العَاشِر من الكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي في ذاتها محاسِن.

أن الإسلام شرَع للمسلمين نظامًا ماليًا يحفظ أموالهم في حياتهم -كَمَا تَقَدَّمَ- ذِكره، ونظم انتقال المال بعد الوفاة لمَن يستحقه ممن يُحِب العاقل أن ينتقل ماله إليه، والله خلق الخلق وهو أعلم بهم، أعلم بمَن هو أقرب من الأقارِب، ومَن هو أنفع في الجملة من الأقارِب، فجعل الميراث مبنيًا عَلَىٰ هذَا.

فصل المواريث بناءً عَلَىٰ هذَا، والعاقل إِذَا تأمل المواريث والورثة وأحوال ميراثهم لوجد أنه يجب أن يكون الميراث هكذا، حَتَّىٰ بعض الأمور قد تكون خافية عَلَىٰ الإنسان لكن لما جاءت المواريث تبين هذَا، ولذلك نقول: إن المواريث تدلنا عَلَىٰ الأقرب من أقاربنا، وعَلَىٰ الأنفع من أقاربنا.

وفُصِلت المواريث تفصيلًا بديعًا فيه غاية العدل وتحقيق المصلحة، فإنه لو تُرِك الناس لاجتهاداتهم في الميراث لرأيت العجب العُجاب، فيُعطى مَن لا يستحق ويُحرَم مَن يستحق، ألم نسمع أن في الغرب من يترك الملايين لكلبٍ وابنته مُشردة في الشوارع، حَتَّىٰ صاروا يذكرون كلابًا يعدونها من الأثرياء، إِذَا عدوا الأثرياء ذكروا كلابًا منها بسبب هذَا.

فلو تُرِك الناس لاجتهاداتهم وآرائهم لحصل الظلم، وحصل التضييع، وحصلت العداوات والبغضاء، وتقطعت الأواصر بين الأقارِب؛ لأن القريب يرى أن قريبه هذَا لن ينفعه بل سيمد المال إِلَىٰ مَن لا يستحق، فيبتعد عنه ولا يعتني به ولا يهتم به، ولم يجعل الإسلام للإنسان حقًا في حِرمان الورثة من الميراث، لكن جعل له من ماله الثُلُث يجعله فيما يشاء مِمَّا يراه خيرًا بعد موته.

فجمع بين المصلحتين: مصلحة الورثة، ومصلحة المورِث، فلم يجعل للمورِث أن يحرِم الورثة من الميراث فيعطي ماله لمَن شاء، ولم يكُف يد المورِث في أن يصرف بعض ماله بعد موته في خيرٍ يراه فجعل له الثُلُث، إن شاء أخرج الثُلُث وإن شاء دونه فيما يراه من وجوه الخير كما فصلناه في كتاب: الوصية في الفِقه.

وَهٰذَا من كمال الكمال في الدين، وتعرفون ما جاء في قصة سعد ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرِض في عام حجة الوداع؛ يعني: في آخر حياة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوده، ولم يكن لسعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا أبنة واحدة وكان عنده مالٌ كثير، فرأى سعد برأيه أن ابنته يكفيها ثُلُث ماله ويفيض، فاستشار النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن يتصدق بثُلُثي ماله بعد موته.

فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا، قَالَ فالشَطِر؛ النِصف، قَالَ: لا، قَالَ: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ أَوْ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ» متفقٌ عليه، وانظر ما في هٰذَا الحديث.

فسعدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأي أن له أبنة واحدة لكن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبه المسلم إِلَىٰ شيء وهو: أنه لا يدري ما يحدُث له في المستقبل، وَهٰذَا الَّذِي وقع، فإن سعدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاش وتزوج وأنجب وصار له ورثة، وذلك الفُقهاء يا إخوة يقولون: لا ينبغي للإنسان أن يعجَل في مال الميراث فإنه لا يدري ما يكون.

ولذلك الفُقهاء يقولون: الأفضل ألا يقسم الإنسان ماله قِسمة الميراث وهو حي؛ لأنه ما يدري ربما صار هؤلاء عاقين وتركوه إِذَا أخذوا المال، وربما يرزقه الله ورثة غيرهم، فَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم سعدًا وعلمنا: أن الإنسان لا يدري ما يكون، وما دام أنه حي فإنه تجري عليه الأمور والعوارِض، ثُمَّ بين النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الخير للإنسان: أن يترك أقاربه الورثة أغنياء، وله في هٰذَا أجرٌ.

ولذلك في أثناء هٰذِه القصة قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ يَا سَعْدُ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»، فما دمت تُنفِق في سبيل الله إن مد الله في عُمرك فتصدق وأنفِق عَلَىٰ أهلك تبتغي وجه الله، وأفضل المال: ما جعله الإنسان في أهله، فالإنسان يبدأ بنفسه لكن عَلَىٰ غيره أفضل المال: ما جعله في غيره.

وأهله يعني: الَّذِينَ يعولُهم الإنسان، ثُمَّ ما جعله في أقاربه، ثُمَّ ما جعله في الناس، بشرطٍ في الكل: أن يبتغي بذلك وجه الله، فما يتركه لورثته يبتغي بذلك وجه الله يُثاب عليه، ويحصُل له بذلك الثواب، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ أَعْطَىٰ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ» رواه أحمد وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، وصححه الألباني.

فمنع من الوصية للوارِث حَتَّىٰ لا يحصل الظلم، له أن يوصي بثُلُثه لمَن شاء في وجوه الخير إِلَّا لوارثٍ؛ لأن العدل قد تحقق بالميراث، وَهٰذَا فيه حُسنٌ بديع لا تجده إِلَّا في الإسلام، ثُمَّ جعل للإنسان أوجهًا أخرى للخير كالوَقف ونحو ذلك مِمَّا سيأتي بيانه في قضية: الإحسان إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أشار تَعَالَىٰ إِلَىٰ حِكمة ذلك بقوله: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾** [النساء: ١١].

(الشرح)

هٰذَا الَّذِي قلت لكم فيه: إن الميراث رُتِب عَلَىٰ القُرب والنفع، وَالَّذِي يعلم هٰذَا هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فوضعها الله بنفسه بحسب ما يعلمه من قرب النفع وما يحب العبد عادة أن يصل إليه ماله، وما هو أولىٰ ببره وفضله.**

(الشرح)

-كَمَا ذَكَرْت- لكم: أن العاقل عقلًا سليمًا صحيحًا يرى أنه يحب أن يؤول ماله إِلَىٰ هؤلاء الَّذِينَ جعل الله لهم الميراث.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مرتبًا ذلك ترتيبًا تشهد العقول الصحيحة بحسنه، وأنه لو وكل الأمر إِلَىٰ آراء الناس وأهوائهم وإراداتهم لحصل بسبب ذلك من الخلل والاختلال وزوال الانتظام وسوء الاختيار ما يشبِه الفوضىٰ.**

(الشرح)

وَلَا شَكَّ في هٰذَا، كأن يُحرَم الضعيف، بعض الناس مثلًا: يحرمون النِساء من الميراث، وإذا كان هناك أخ ضعيف يحرمونه من الميراث، ويأتون بأسباب واهية؛ يقولوا: لو أعطيناه ضيع المال، لذلك بعض الناس يشتكي ويقول: أخونا الكبير استولى عَلَىٰ مال أبينا ولا يعطينا ولم يُقسِم الميراث، وإذا كلمناه قَالَ:

أنتم تضيعون مال أبي لو أعطيتكم، تبيعون الأرض وتبيعون البيت، ويظلمهم، فَهٰذَا الَّذِي يسببه: عدم الالتزام بحكم الله عَزَّوَجَلَّ في الميراث.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وجعل الشارع للعبد أن يوصي في جهات البر والتقوىٰ بشيء من ماله فيما ينفعه لآخرته، وقيد ذلك بالثلث فأقلَّ لغير وارث، لئلا تصير الأموال الَّتِي جعلها الله قيامًا للناس.**

(الشرح)

ويمكن أن نمضيها عَلَىٰ معنى، لكن الَّذِي يظهر لي واللهُ أَعْلَمُ: أنها الأموال؛ لئلا تصير الأموال الَّتِي جعلها الله قيامًا للناس، إِذًا هٰذَا هو الَّذِي يتفق مع الآية: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النساء: ٥]، والكتابة قريبة، وَالَّذِي يحقق المخطوطات يعرف هٰذَا، ويعرف أن هناك كلمات كثيرة تكون قريبة فقد تُقرأ بنُطق، وتُقرأ بنُطق.

والمُحقق الحاذق يحملها عَلَىٰ النُطق الَّذِي يتفق مع المعاني، فَالَّذِي يظهر لي واللهُ أَعْلَمُ: أنها لئلا تصير الأموال الَّتِي جعلها الله قيامًا للناس ملعبةً؛ لأن الكلام عن المال، وَهٰذَا أيضًا الَّذِي يتفق مع الآية، والرسم قريب.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لئلا تصير الأموال الَّتِي جعلها الله قيامًا للناس ملعبةً يتلاعب بها قاصرو العقول والديانة عند انتقالهم من الدنيا، أما حالهم في حالة صحة الأجسام والعقول، فما يخشونه من الفقر والإفلاس مانعٌ لهم من صرفه فيما يضرهم غالبًا.**

(الشرح)

يعني يقول الشيخ: إن أهل الفِسق وقِلة الديانة، ومَن قصُرَت عقولهم لا يحسنون التَّصَرُّف في أموالهم إِلَّا خوفًا من الفقر، ففي حال حياتهم لكونهم يخافون الإفلاس والفقر ما يضيعون أموالهم، ولكن هٰذَا ليس دائمًا، هناك مَن يضيع ماله وهو حي في القِمار، وفي أمور لا خير فيها، ولكن الشيخ يُشير إِلَىٰ: أنهم إِذَا رأى أحدهم أنه سيموت يبدأ يعبث بالمال.

وَهٰذَا الَّذِي يُرى في الكُفار: أن أحدهم يجمع المال ويعتني بالمال، لكن في آخر حياته يبدأ يتوسع في صرف المال؛ فيسافر وكذا وكذا فيعبث به، وَلَا شَكَّ يا إخوة: لا يضبط الناس إِلَّا دينهم الصحيح.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: المثال الحادي عشر: ما جاءت به الشريعة الإسلامية من الحدود، وتنوعها بحسب الجرائم.

(الشرح)

☜ هذَا المثال الحادي عشر للكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي من محاسِن الإسلام.

والحقيقة: أن ذِكر الشيخ لهذا المثال يدلك عَلَىٰ فِقهه وبُعد نظره، فإن الجهلة وأعداء الإسلام يرون هٰذَا من مساوئ الإسلام ويسبون الإسلام به، وأذكر مرةً أننا كنا بحُكم عملنا في الجامعة في زيارة لدولة من الدول، وكان في ضمن الزيارة لقاء مع الوزير المُفوض لحقوق الإنسان.

فتلكم وألقى كلمة ونال من ديننا ومن بلادنا هٰذِه بقضية: الحدود، وبعد أن سكت طلبت الكلام، وقلت له: إن هٰذَا الكلام الَّذِي سمعناه ينافي حقوق الإنسان؛ لأنكم تريدون أن تفرضوا عَلَىٰ الناس ما ترون، والناس عندنا في ديننا يريدون دينهم وما حكم به ربهم، ويرونه خيرًا لهم، فمن العنجهية: أن تجعلوا أنفسكم ميزانًا وتفرضوا عَلَىٰ الناس هٰذَا الأمر، وأنتم في أحكامكم يوجد ظلم كثير، يُسجن الرجل سنين طويلة عَلَىٰ جريمة صغيرة، ويفعل جريمة كبيرة وقد لا يُعاقَب.

وجلست أتكلم شيئًا عن محاسِن ديننا في هٰذَا الباب، فانظر رعاك الله كيف أن الشيخ ذَكَرَ هٰذَا المثال من محاسِن الإسلام وهو كذلك مقابلةً لأولئك الجهلة الَّذِينَ يرون: أن الحدود من المساوئ، فالشيخ ذَكَرَ في هٰذَا المثال: أن الشارع رتب عَلَىٰ الجنايات الكبرى والذنوب العظمى المتعدية عقوباتٍ مقدرةً شرعًا تناسب كل ذنب.

لاحظوا يا إخوة: أن الحدود والعقوبات المقدرة إِنَّمَا شُرِعت وجاءت عَلَىٰ الجنايات والذنوب الكبرى المتعدية؛ السَّرِقةِ، البغي، قطع الطريق، القذف، اَلزِّنَا، القتل، يقول لي قائل منكم: وشرب الخمر، أقول: نعم هو ذنبٌ يتعدى، ولذلك جاء عن بعض الصحابة: أنه إِذَا سكِر هدى، وإذا هدى أفترى، فالخمر أم الخبائث كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن شرِبها وَقَع عَلَىٰ عَمتِهِ أَوْ خَالتِهِ» فهي تؤدي إِلَىٰ: التعدي.

إِذًا الحدود جاءت لحفظ الإنسان نفسه وحفظ الناس، ولذلك إِنَّمَا رُتِبت عَلَىٰ الجنايات والذنوب الكبيرة المتعدية، وكل عقوبة تناسب الذنب، القتل العَمد رُتِب عليه: القِصاص، القتل الخطأ رُتِبت عليه:

اَلدِّيَةُ، وهكذا في الحدود، وَهٰذِه الحدود تزجر الناس عن هٰذِه الجرائم؛ لأن الإنسان إِذَا علِم أنه إن قتل قُتِل فإنه لن يُقدِم عَلَىٰ القتل إِلَّا أن يُغلَب عَلَىٰ عقله.

ولذلك العرب كانت تقول: القتل أنفى للقتل، فَقَالَ ربنا قولًا بليغًا أبلغ من كل هٰذَا: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، سُبْحَانَ اللَّهِ، القِصاص قتل؟ نعم؛ لأن الإنسان نفسه يحيى بسبب القِصاص؛ لأنه إِذَا علِم أنه لو قتل لاقتُص منه فإنه لا يقتُل، وبالتالي لا يُقتَل؛ لأن الناس لا يرضون مَن قتل لهم قتيلًا قتلوه.

ولذلك الناس في بعض البُلدان يعانون من قضية: الانتقام، الَّتِي تسمونه: الثأر.

فبعض الأُسَر لها مائة سنة وهم يعيشون في قضية الثأر، هٰذَا يقتل، وَهٰذَا يقتل، وَهٰذَا يفِر ويبحثون عنه حَتَّىٰ يجدونه ويقتلونه، لكن إِذَا أُقيم القِصاص فإن الإنسان قبل أن يقتل ينزجر عن القتل فيحيى هو ويحيى غيره حيث لا يُقدِم عَلَىٰ قتله.

ففي القِصاص حياة، وهي أيضًا في نفس الوقت: كفارة للذنب، فهي زواجر وجوابر، أَمَّا كونها زواجر فَهٰذَا ظاهر، ولذلك شُرِع أن تُعلَن حَتَّىٰ ينزجر الناس، وهي كفارات للذنوب، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فَهُوَ كَفَّارَةُ ذَنْبِهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ» متفقٌ عليه.

وَقَالَ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصَابَ ذَنْبًا أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ» رواه أحمد، وصححه الألباني، والشَرعَمع كونه شرع الحدود جعل لها شروطًا واضحةً بينة، وجعلها لا تُقام إِلَّا إِذَا تحقق الجُرمُ، ولذلك: تُدرأ بالشُبهات، وجعلها تحت راية ولي الأمر، وَلَا بُدَّ فيها من حُكمٍ حَتَّىٰ لا يصبح الأمر فوضى.

هٰذَا قد ير ى شخصًا ويقول: هٰذَا أرتد عن دينه، والله يا إخوة تأتيني أسئلة: جارنا يسُب الله كل يوم، قلت له: كافر، نعم الَّذِي يسُب الله كافر بدون تفصيل، قَالَ: يا شيخ إِذًا نقتله؟ قلت له: لا، هٰذَا إِنَّمَا هو لولي الأمر فإن فعل فالحمد لله، وإن لم يفعل فليس للأفراد أن يتسلطوا عَلَىٰ هٰذَا الأمر، لو جُعِل الأمر إِلَىٰ الأفراد لانقلب الشأن من حفظ إِلَىٰ تضييع، لكن الشَرعَ جعل الحدود إِنَّمَا تُقام تحت راية ولي الأمر.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهٰذَا لأن الجرائم والتعدي عَلَىٰ حقوق الله وحقوق عباده من أعظم الظلم الَّذِي يخِلُّ بالنظام.

(الشرح)

لَا شَكَّ أن الجرائم تُخِل بالأمن، وتُخِل بالمصالح، أذكر في دولة من الدول حصل اختلال في النظام فجاءتني أسئلة كثيرة من الناس يقولون: يا شيخ ما نستطيع أن نذهب لنصلي الفجر في المسجد لأننا نخاف عَلَىٰ أنفسنا؛ لأن المجرمين في الطُرُق يضعون حواجز من الشُرَط وإذا مر هات، وإذا ما وجدوا مع شيء قتلوه، وهناك مَن يعتدي عَلَىٰ البيوت فيقولون: نحن نضطر أن نبقى في بيوتنا نحمي أهلنا، ونحفظ أنفسنا.

الجرائم مُذهِبة للأمن مُعطِلة للمصالح، فَلَا بُدَّ من عقوباتٍ تدفعها، وقد ثبت للدنيا: أن العقوبات البشرية لا تمنع الجرائم، وَإِنَّمَا يمنع الجرائم: الدين، ولذلك يا إخوة بعض الدول تطلب من الدُعاة أن يدعوا إِلَىٰ الإسلام في السجن، وهي دول كافرة، بل زرت دولةً غير مسلمة فوجدت أنهم يوظفون دُعاة للدعوة إِلَىٰ الإسلام في السجون.

يعطون الداعية ألفين دولار كوظيفة لكي يدعوا إِلَىٰ الإسلام، لِما؟ لأنهم وجدوا أن الإسلام يمنع الجرائم، وأن السجين الَّذِي يُسلِم لا يرجع، وَالَّذِي لا يُسلِم هو ذبون عندهم، أقول يا إخوة: قد أطلعت عَلَىٰ دراسةٍ علمية أُجريت في جامعةٍ من جامعات الكفار عَلَىٰ السجون في تلك الدولة فأثبتت: أن المانع اَلْأَوَّلُ من الجرائم هو: الإسلام، وأن الغالب: أن السجين إِذَا أسلَم لا يرجِع إِلَىٰ السِجن.

بل وجدوا في بعض الحالات: أن بعض المساجين الَّذِينَ تكرر سجنهم ثُمَّ أسلموا لم يرجعوا إِلَىٰ السجن، فالإسلام جميع تشريعاته تهذيبٌ للنَفس، وفيها شرعة في باب العقوبات: إعانةٌ للإنسان عَلَىٰ نفسه ليجتنب المعاصي ويَسلَم مش شرها ويُسلَم من شرِه.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: من أعظم الظلم الَّذِي يخِلُّ بالنظام ويختَلُّ به الدين والدنيا، فوضع الشارع للجرائم والتجرئات حدودًا تردع عن مواقعتها، وتخفف من وطأتها، من القتل والقطع والجلد وأنواع التعزيرات.

(الشرح)

✓ التعزيرات هي: العقوبات غير المقدرة عَلَىٰ جرائم متعدية.

فقد تكون هناك جريمة متعدية وتتكرر من إنسان ولم يُجعَل عليها حَدٌّ فيعزره القاضي لينزجر عَن تلك المعصية.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وكلها فيها من المنافع والمصالح الخاصة والعامة ما يعرف به العاقل حُسنَ الشريعة وأن الشرور لا يمكن أن تقاوم وتدفع دفعًا كاملًا إِلَّا بالحدود الشَرعَية التي رتبها الشارع بحسب الجرائم قِلّةً وكثرة وشدة وضعفًا.

(الشرح)

كما بَيَّنَّا، فالحمد لله عَلَىٰ نعمة الإسلام، لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة، وإن شاء الله بعد أن نصلي السُّنَّة البعدية نعود إِلَىٰ المجلس الثَّانِي من مجالس اليوم، وفق الله الجميع، وتقبل الله من الجميع، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد.

المجلس (٥)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بعد؛

فنواصل شرحنا للرسالة العظيمة صغيرة الحجم غزيرة العِلم: (**الدُرة المختصرة في محاسِن الدين الإسلامي**) للسَعدي، فيتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

❑ **قَالَ الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: اِلمثال الْثَّانِي عشر: ما جاءت به الشريعة من الأمر بالحجر عَلَىٰ الإنسان عن التصرف في ماله إِذَا كان تصرفه مضرا به أَوْ بغيره.**

(الشرح)

☜ **هذَا هو المِثال الْثَّانِي عشر من الكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي من محاسِن الإسلام.**

وهو: أن الإسلام أطلق للإنسان ذكرًا كان أَوْ أنثى أن يتصرف في ماله وِفق شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وشرَع الحجر وتقييد التصرفات في الأموال عند قيام سببه لحفظ الأموال حَتَّىٰ لا تضيع، ولحفظ الحقوق حَتَّىٰ لا تضيع، فيُمنع الإنسان إذ ذاك من التَّصَرُّف في ماله.

✪ **والحجرُ -كَمَا تَقَدَّمَ- في الفِقه نوعان:**

➢ **الأول:** حجرٌ لمصلحة المحجور عليه لنقصٍ فيه يمنعه من حُسن التَّصَرُّف في ماله، ولو أعطي الحق مُطلقًا ليتصرف في ماله لأضاع ماله فيما لا فائدة منه، ولم يتمكن من حِفظ ماله.

بل يتسلط عليه المُحتالون، وأكَلَةُ أموال الناس بالباطل لأكل ماله، وذلك كالحجرِ عَلَىٰ السفيه الَّذِي لا يُحسِن التَّصَرُّف في المال، والمجنون الَّذِي لا عقل له والصغير الَّذِي لم يكتمل عقله.

➢ **والثاني:** الحجر عَلَىٰ الإنسان لِحفظ حق غيره، كالحجر عَلَىٰ المُفلِس إِذَا طلب الغرماء الحجر عليه، ومع الحجر عليه يُترَك له من ماله ما يحتاج إليه، فلا يُمنع مِمَّا يحتاج إليه، وَإِنَّمَا يُحجر عليه فيما زاد عَلَىٰ حاجته من ماله حَتَّىٰ لا يضيع حق الغُرماء، وَهٰذَا من محاسِن الإسلام العُظمى فأعطى الإنسان ماله، حَتَّىٰ لو كانت امرأة وجعل لها الحق في أن تتصرف في مالها، ولم يُحجَر عليها لكونها امرأة.

وَهٰذَا مالا يوجد عند كثيرٍ من الناس الَّذِينَ لا يلتزمون الإسلام، ثُمَّ إِذَا ظهر من الإنسان أن تصرفه في المال سيضيع به المال إِمَّا لذهاب عقله، أَوْ لعدم حُسنِ تصرفه، أَوْ لنقص عقلِه فإنه يُحجَر عليه حَتَّىٰ يُحفَظ ماله له، وكذلك لو كانت ديون الإنسان أكثر من ماله وطلب غرمائه الحجر عليه فإنه يُحجَر عليه فيما زاد عن حاجته من ماله ليُحفَظ حق الغُرماء، وَحَتَّىٰ لا يضيع حق الغُرماء.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك كالحجر عَلَىٰ المجنون والصغير والسفيه ونحوهم، والحجر عَلَىٰ الغريم لمصلحة غُرمائه.**

(الشرح)

والحجر عَلَىٰ الغريم ليس مطلقًا، وَإِنَّمَا الحجر عَلَىٰ الغريم الَّذِي هو: المَدين إِذَا أفلَسَ وكانت ديونه أكثر من ماله، هٰذَا المُفلِس: الَّذِي ديونه أكثر من ماله، بشرط: أن يطلب الغُرماء الحجر عليه، فإذا طلب غُرمائه الحجر عليه فإنه يُحجَر عليه، أَمَّا إِذَا كان الغريم مُعسِرًا؛ يعني: ليس عنده شيء إِلَّا ما يحتاج إليه، ما عنده زيادة عن حاجته، فإنه لا يُطالب بالدَين، ولا يُحبَس بل يُترَك يطلب الرِزق وتؤخر مطالبته بالدَين إِلَىٰ أن يوسِر.

لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وذو العُسرة: الَّذِي لا يجد إِلَّا ما ينفقه في حاجته، فنظرة أي: فتأخير وجوبًا إِلَىٰ مسيرة؛ إِلَىٰ أن يوسِر، انظر إِلَىٰ هٰذَا الحُسن العظيم، العلماء يقولون: الغريم المَدين ثلاثة أنواع: مُسِرٌ، ومُعسِرٌ، ومُفلِسٌ.

مُسِرٌ: عنده مال فيُستحب التيسير عليه مع أنه مُسِر، بأن يكون الإنسان سمحًا إِذَا طلب حقه، وأن يُيسر عليه في الوقت، أَوْ يُسقِط بعض حقه، وَهٰذَا مُستحَب ومن حُسنِ الخُلُق، وإذا كان مُعسِرًا فإنه يُترَك

يطلب الرِزق، ويؤخر الدَين الَّذِي عليه إِلَىٰ أن يُسِر، وإذا كان مُفلِسًا فإنه لا يُحجَر عليه إِلَّا إِذَا طلب الغُرماء ذلك فطلبوا حقهم، وَهٰذَا حُسنٌ عظيم ما بعده حُسنٌ في معاملة الغُرماء.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وكل هٰذَا من محاسِن الشريعة، حيث منعت الإنسان من التصرف في ماله الَّذِي كان في الأصل مطلق التصرف فيه، ولكن لما كان تصرفه ضرره أكثر من نفعه وشره أكبر من خيره حجر عليه الشارِع حجرًا للتصرفات في ميدان المصالح، وإرشادًا للعباد أن يسعوا في كل تصرف نافع غير ضار.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: المثال الْثَّالِث عشر: ما جاءت به الشريعة من مشروعية الوثائق الَّتِي يتوثق بها أهل الحقوق.

(الشرح)

☜ هذَا المثال الْثَّالِث عشر من الكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي من محاسِن الإسلام.

وهو: أن الشَرعَ شرع للناس أن يوسِع بعضهم عَلَىٰ بعض، وشرَع: حِفظ الحقوق المالية للناس بكتابتها، أَوْ الإشهاد عليها، أَوْ أخذ الرَهنِ، أَوْ الكفالة، أَوْ الضمين ونحو ذلك حَتَّىٰ لا تضيع تلك الحقوق إِمَّا بالنسيان، وَإِمَّا بالجحود، وَحَتَّىٰ يطمئن أصحاب الأموال.

صاحب المال لو خاف أن ماله يضيع لن يوسِع عَلَىٰ الناس، لن يبيعهم بأجل، لن يُقرِضهم لكن إِذَا علِم أن له أن يوثِق حقه، وأن حقه لن يضيع فإن هٰذَا يعينه عَلَىٰ أن يوسِع عَلَىٰ الناس في الأموال، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وَهٰذَا نوعٌ من التوثيق للحقوق حَتَّىٰ لا تضيع الحقوق.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك كالشهادة الَّتِي تستوفىٰ بها الحقوق، وتمنع التجاحُد، ويزول بها الارتياب.

(الشرح)

الشهادة عَلَىٰ الحق أن تُشهِد عَلَىٰ الحق: هٰذِه تمنع الجحود؛ لأن الإنسان يعرف أن عليه شهودًا فلا يجحد، ويزول بها الارتياب: لأن الإنسان مع طول الزمن قد ينسى، فقد يظن صاحب الحق أن الحق أكثر، وقد يظن أن الَّذِي عليه الحق أن الحق أقل، فإذا لم تكون هناك شهادة.

فإذا جاء وقت الوفاء قَالَ: أنت كم لك عليّ؟، قَالَ: لي ألف، قَالَ: لا كثير، أظن أنهم خمسمائة، فالشهادة تدفع الارتياب، وتدفع الشَّكّ الَّذِي يحصُل مع طول الزمن.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وكالرهن والضمان والكفالة الَّتِي إِذَا تعذَّر الاستيفاء مِمَن عليه الحق رجع صاحب الحق إِلَىٰ الوثيقة الَّتِي يُستوفىٰ منها.**

(الشرح)

✓ **فالرَهن شُرِع في ديننا وهو:** حبس عينٍ وثيقةً بدينٍ ليُستوفى من ثمنها عند تعذر الوفاء.

فلو أن إنسانًا يريد أن يشتري؛ يعني: فلاح مثلًا جاء وقت الزراعة وما عنده مؤنةٌ فجاء إِلَىٰ التاجر وَقَالَ: بِعني، قَالَ له: هات، قَالَ: ما معي، فأجلني ستة أشهر حَتَّىٰ نحصد إِنْ شَاءَ اللهُ وأعطيك، قَالَ: ترهَن عندي المِحراث الْثَّانِي الَّذِي عِندك، هنا انتفع الراهِن لأنه أخذ ما يريد، وانتفع صاحب المال لأنه أخذ وثيقةً بماله، لو ما وفى الَّذِي عليه الحق يبيع الرَهن ويستوفي حقه، وإذا بقي شيء رده إِلَىٰ صاحبه.

✓ **والضمان:** الَّذِي هو ما يسمى اليوم في زماننا: الكفالة المالية، ضم ذِمةٍ إِلَىٰ ذِمة في الحق.

فنفس المثال مثلًا: إنسان ذهب إِلَىٰ التاجر وَقَالَ أريد أن اشتري كذا، قَالَ: هات الثمن، قَالَ: ما عندي بعد ستة أشهر، قَالَ: هات بضامن يضمن معك، فجاء إنسان وَقَالَ: أنا أضمن، فضم ذِمته إِلَىٰ ذِمة الَّذِي عليه الحق في دفع الحق والوفاء به، هٰذَا توثِقة.

والكفالة هي الَّتِي تسمى في زماننا: بالكفالة الحضورية؛ أن يلتزم بإحضار الخَصم، فيقول: أنا أضمن أنه وقت الحاجة يحضُر الخَصم، وأُحضِره لك، هٰذِه كلها توثقةً للحقوق جاء بها الشَرعَ.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا يخفىٰ ما في ذلك من المنافع المتنوعة، وحفظ الحقوق وتوسيع المعاملات.**

(الشرح)

توسيع المعاملات لأن الناس لو لم يتوثقوا من حقوقهم ما عاملوا الناس بالأجل، وَهٰذِه الوثائق فيها منفعة للطرفين، وتوسعة عَلَىٰ الطرفين.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وردها إِلَىٰ القسط والعدل، وصلاح الأحوال، واستقامة المعاملات، فلولا الوثائق لتعطَّل القسم الأكبر من المعاملات، فإنها نافعة للمتوثق، نافعة لمن عليه الحق من وجوه متعددة معروفة.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: المثال الرَّابِع عشر: ما حث الشارِع عليه من الإحسان الَّذِي يُكسِب صاحبه الأجر عند الله والمعروف عند الناس، ثُمَّ يرجع إليه ماله بعينه أَوْ بدله.

(الشرح)

☜ هذَا المثال الرَّابِع عشر من الكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي في ذاتها محاسِن.

وهي: أن الإسلام شرع للناس أن يُحسِن بعضهم إِلَىٰ بعضٍ في الأموال.

✓ المقصود بالإحسان هنا: الإحسان بالمال مع رد المال، هذَا هو المقصود بالإحسان هنا: الإحسان بالمال ومن ثَمَّ يُرَد.

ويُرتَب عَلَىٰ ذلك: الأجر العظيم، والمصالح والمنافع للناس، وجعل للإحسان أحكامًا خاصة حَتَّىٰ يتشجع الناس عَلَىٰ الإحسان، ورتب عَلَىٰ التفريج عَلَىٰ الناس المنافع العظيمة، مَن فرج عن الناس بالإحسان إليهم بأن يعطيهم ماله، أَوْ العين الَّتِي عنده لينتفعوا بها ثُمَّ يردوه إليه، فإنه يُثاب، ومن ثوابه: أن الله يفرج عنه كما فرج عن خلقه.

ولذلك يا إخوة المكروب في أمرٍ من الأمور من أسباب التفريج عنه: أن يُفرِج عن غيره؛ يعني: من كان عنده كرب مثلًا: أبنه عاق وراكبه الهم بسبب هذَا، من أسباب التفريج عنه: أن يُفرِج عن جاره، أن يُفرِج عن أخيه؛ لأن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

والستر يا إخوة قد يكون: بالإحسان بالمال.

الأرملة المسكينة الَّتِي عندها أولاد وما عندها دخل من الستر عليها: أن تعطيها مالًا حَتَّىٰ ولو عَلَىٰ سبيل العارية أَوْ الدَين؛ لأنك بهذا تسترها من أن تذهب لهذا ولهذا تطلب منه، ومن أن تضعف نفسها فقد

تفعل شيئًا لا يليق من أجل أن تُحصِل المال، «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

مَن أعان أخاه وَهٰذَا أمرٌ يسير: أعانه الله، والله إن عونك لأخيك لا يساوي شيئًا أمام عون الله عَزَّوَجَلَّ لك، ولذلك: مَن لا يعين الناس مع قدرته هو بخيلٌ عَلَىٰ نفسه؛ لأنه يحرِم نفسه عون الله الخاص الَّذِي جعله لمَن يعينون الناس، «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» رواه مسلم في الصحيح.

إذًا الإنسان إذَا أحسن للناس بماله الذي يرد إليه يفوز:

1. **أولًا:** ماله سيرجع إليه.
2. **ثانيًا:** يربح الثواب من الله.
3. **ثالثًا:** يربح العون من الله.
4. **رابعًا:** يربح التقدير من الناس، ويُصبِح له مكانة ومحبة في نفوس الناس.

وَهٰذِه والله هي التجارة الرابحة، وَهٰذَا أعظم المرابِح، وَهٰذَا لا تجده إلَّا في دين الإسلام، فوسع عَلَىٰ الناس وشرَع للناس أن يُحسِن بعضهم إلَىٰ بعضٍ في المال.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما حث الشارع عليه من الإحسان الَّذِي يُكسِب صاحبه الأجر عند الله والمعروف عند الناس، ثُمَّ يرجع إليه ماله بعينه أَوْ بدله.**

(الشرح)

ثُمَّ يرجع إليه ماله بعينه كما في العارية؛ إذَا أعرت أخاك كتابًا يقرأ فيه وينتفع ثُمَّ يرد الكتاب، أعرته قِدرًا يطبخ فيه ثُمَّ يرد القِدر بعينه.

أَوْ بدله كما في القرض؛ إذَا أقرضت أخاك ينتفع به ثُمَّ يرد مثله.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فيكون مكسب هٰذَا النوع أجل المكاسِب.**

(الشرح)

-كَمَا قُلْنَا-: هٰذَا رِبح عظيم؛ مالك يرجع إليك وتربح ما ذكرناه.

(المتن)

❑ قَالَ: دون أن يَلحَقَ صاحبَه ضررٌ، وذلك كالقرض والعارية ونحوهما.

(الشرح)

✓ **والعارية معروفة:** إباحة الانتفاع بالعين، مع بقاء العين لتُرد.

وذكرنا في العارية أنه من شرطها: أن تكون العين تبقى حَتَّىٰ تكون عارية، وَإِلَّا خرجت عن كونها عاريةً.

(المتن)

❑ قَالَ: فإن في ذلك من المصالح وقضاء الحاجات وتفريج الكربات وحصول الخير والمبرات ما لا يُعدُّ ولا يُحصىٰ.

(الشرح)

للطرفين؛ للمُحسِن والمُحسَن إليه، أَمَّا المُحسَن إليه: فإنه يُفرج عنه بهذا، وَأَمَّا المُحسِن فإن الله يعينه ويُفرِج عنه، ويرزقه ويبارك له.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وصاحبه يرجع إليه ماله وقد استفاد من ربه أجرًا جزيلًا، وبذر عند أخيه إحسانًا وجميلًا، مع ما يتبع ذلك من الخير والبركة وانشراح الصدر، وحصول الألفة والمودة، وَأَمَّا الإحسان المحض الَّذِي يعطيه صاحبه مجانًا ولا يرجع إليه فقد تقدمت الإشارة إِلَىٰ حكمته في الزكاة والصدقة.

(الشرح)

"وَأَمَّا الإحسان المحض الَّذِي يعطيه صاحبه مجانًا ولا يرجع إليه"؛ كالهدية، والهِبة، والصدقة.

☚ **مقصود الشيخ أن الكلام هنا عن: الإحسان بالمال مع رده.**

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: المِثال الخَامِس عشر: الأصول والقواعد الَّتِي جعلها الشارِع أُسُسًا لفصل الخصومات وحل المشاكل وترجيح أحد المتداعيين عَلَىٰ الآخر.

(الشرح)

☜ هذَا المِثال الخَامِس عشر من الكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي محاسِن في ذاتها.

وهو: أن الشَرعَ نظم القضاء، وفصل الخصومات بقواعد دقيقة تحفظ حقوق الجميع؛ المُدعى، والمُدعى عليه، ويتحقق بها العدل مع إيجاد الحلول للمشكلات بالصُلحِ بشروطه.

فالقضاء الَّذِي فيه الفصل بين الناس في الخصومات لَا بُدَّ منه؛ لأن النِزاع لَا بُدَّ أن يقع، ولذلك ما من مجموعةٍ بشرية إِلَّا وهي تُنصِب قاضيًا، ولكن القضاء في الإسلام منظمٌ ومضبوطٌ بما يُحقِق العدل ويدفع الظلم.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فإنها أصولٌ مبينةٌ عَلَىٰ العدل والبُرهان.

(الشرح)

نعم العدل يُبنى عليه القضاء حَتَّىٰ في معاملة الخصوم، يجب عَلَىٰ القاضي أن يعدل حَتَّىٰ في معاملة الخصوم، حَتَّىٰ في النظر قالوا: يَحرُم أن يطيل النظر إِلَىٰ واحدٍ ولا ينظر إِلَىٰ الآخر، ويَحرُم أن يُحِد النظر في واحدٍ ويلين النظر في آخر، وكذلك في المجلس وكذلك في الحُكم، فالقضاء كله مبني عَلَىٰ العدل في الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فإنها أصولٌ بنية عَلَىٰ العدل والبُرهان واطِراد العُرف وموافقة الفِطر.

(الشرح)

فالقواعد في الإسلام كلها عدلٌ، وتتفق مع العُرف الصحيح والفِطرة السليمة.

(المتن)

إنه جعل البيّنة عَلَىٰ كل من ادعىٰ شيئًا أو حقًّا من الحقوق، فإذا أتىٰ بالبينة الَّتِي تُرجِح جانبه وتقويه ثبت له الحق الَّذِي ادعىٰ به، وَمَتَىٰ لم يأت إِلَّا بمجرد الدعوىٰ حلف المدَّعَىٰ عليه عَلَىٰ نفي الدعوىٰ ولم يتوجه للمُدعىٰ عليه حق.

(الشرح)

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لرجلٍ أدعى بئرًا أنها له قَالَ له: «شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ»، هو قَالَ: أنه نازَع شخصًا في بئر وأدعى أنه له، فَقَالَ له النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ»، والحديث متفقٌ عليه.

وقضى النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قَضَىٰ أَنَّ اليَمِينَ عَلَىٰ المُدَّعَىٰ عَلَيْهِ» رواه البخاري، وعند مسلم: «وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَىٰ الْمُدَّعَىٰ عَلَيْهِ»، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «البَيِّنَةُ عَلَىٰ المُدَّعِي، وَاليَمِينُ عَلَىٰ المُدَّعَىٰ عَلَيْهِ» رواه الترمذي وصححه الألباني.

إِذًا المُدعي لأن جانبه أضعف يُطالَب بالبينة حَتَّىٰ يقوى جانبه، فإن جاء بالبينة حُكِم له، وإن لم يأتي بالبينة طُلِب المُدعى عليه الَّذِي جانبه قوي باليمين، اليمين يا إخوة أضعف في إثبات الحق من البينة؛ لأن البينة أجنبية، أَمَّا اليمين فالإنسان نفسه يحلف، ولذلك طُلبت من المُدعى عليه لأن جانبه أقوى، فإذا حَلَف بريء وسقطت الدعوة، وإذا نكل وأبى وَقَالَ: لا أحلِف.

فعند الجمهور: تُرد اليمين عَلَىٰ المُدعي، فيرد القاضي اليمين عَلَىٰ المُدعي ويقول للمُدعي: أحلف وأحكم لك، لِمَا؟ لأن جانب المُدعي هنا قوي بنكول المُدعى عليه، المُدعى عليه لو كان يعلم أن الحق له لحَلَف هكذا يظهر لنا، فقوي جانب المُدعي، فيرد القاضي اليمين عَلَىٰ المُدعي، فإذا حَلَف المُدعي حُكِم له، وإذا نكل وأبى سقطت الدعوة، انظر هٰذَا التنظيم البديع الَّذِي يضمن حقوق الطرفين، ويُراعي حال الطرفين.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وجعل الشارِع البينات بحسب مراتب الأشياء وجعل القرائن المبينة والعرف المطرد بين الناس من البينات، فالبينة اسم جامع لكل ما يبين الحق ويدل عليه.

(الشرح)

البينة اسمٌ جامع لكل ما يُظهر الحق ويُرشِد إليه ويدل عليه، ورأسها: الشهادة؛ بأن يشهد رجلان فَهٰذَا الأصل، أَوْ يشهد رجلٌ وامرأتان، وفي الأموال إِذَا شهِد شاهدٌ فإنه يُطلَب اليمين معه فتقوم اليمين مقام الشاهد الْثَّانِي، فقد قضى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشاهدٍ ويمين كما عند مسلمٍ في الصحيح.

وفيما لا يطلع عله إِلَّا النساء تُقبل شهادة النساء بامترادهم، ومن البينة: العُرف، والعادة، فإن العُرف والعادة من البينة، ولكنها عند الجمهور بمنزلة شاهِد واحد، قاعدة عن الفقهاء: هل العادة بمنزلة شاهدٍ أَوْ شاهدين؟ هٰذَا محل خلاف، لكن عند الجمهور: العُرف والعادة بمنزلة شاهد فيُطلَب معه اليمين.

مثلًا يا إخوة: اختصم طالب عِلمٍ مع فلاحٍ لا يُعرَف بطلب العِلم في كتاب، كل واحد يقول: الكتاب لي، العادة أن الكتاب لطالب العِلم أم للفلاح الَّذِي لا يطلب العِلم؟ لطالب العِلم، فهنا نقول لطالب العِلم: أحلف أن الكتاب لك ونحكم لك، فإن حَلَف، وَإِلَّا رددنا اليمين عَلَىٰ الفلاح.

لو العكس: طالب عِلم اختصم مع فلاح في مِحراث، فإن العادة أن الَّذِي يكون عنده المِحراث هو: الفلاح، فنقول للفلاح: أحلف، فإن حلف كحمنا له، وإن لم يحلِف رددنا اليمين عَلَىٰ طالب العِلم، فإن حلف حكمنا له وَإِلَّا سقطت الدعوة.

✍ أيضًا كما ذَكَرَ الشيخ من البينات: القرائن، ومن القرينة: أن يكون المُدعىٰ عليه في يد أَحَدُهُمَا فإن هٰذَا يقوي جانبه.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وجعل عند الاشتباه وتساوي الخصمين طريق الصلح العادل المناسب لكل قضية طريقًا إِلَىٰ حل المشاكل والمنازعات.

(الشرح)

إِذَا لم يظهر الحق، أَوْ ظهر ولكن الحُكم سيؤدي إِلَىٰ مفاسِد، فإنه يُشرَع الصُلح، والصُلح خير، يعني مثلًا: اختصم أخوٌ مع أخيه عند القاضي وظهر أن الحق للأخ الصغير، فيقول القاضي للأخ الصغير: الحق

لك، ويمكن أن نحكم لك، لكن هٰذَا سيحرمك من محبة أخيك الكبير، وربما قاطعك، وأخوك بفضل الله سندُك فأرى لك: أن تصالحه.

ثُمَّ يأخذ الأخ الكبير ويقول: ترى الحُكم عليك وإذا حكمنا عليك ستنكسر نفسك أمام أخيك الصغير وتذهب هيبتك فأرى لك: أن تصالحه، فإن اصطلحا فالصُلح خير، لكن لاحظوا أنه بين للصغير أن الحق له؛ لأن هٰذَا شرط في الصُلح، إِذَا تبين الحق لَا بُدَّ أن يُبيَن، وأرشدهما للصُلح، فَهٰذَا الصُلح خير يدفع المفاسد ويُحقِق الخير، أَوْ عند الاشتباه في صُلحِ الإنكار.

قَالَ: أنا لي عليك عشرة آلاف ريال، قَالَ: والله ما أتذكر، أعندك شهود؟ قَالَ: ما عندي، عندك بينة؟ عندك كتابة أَوْ وثيقة؟ قَالَ: ما عندي، قَالَ: أنا ما أتذكر، ثُمَّ قَالَ: يا أخي أنت متأكد إن عليّ عشرة آلاف؟ قَالَ: نعم.

قَالَ: يا أخي بدلًا من أن نذهب إِلَىٰ المحكمة وأتعب وتتعب تعال نصطلح فأعطيك خمسة آلاف، فوالله لا أعلم أن لك شيئًا عندي، ولكن من باب الصُلح: أعطيك خمسة آلاف وننهي المسألة؛ لأنك إِذَا ذهبت إِلَىٰ القاضي سيطالبك بالبينة وما عندك بينة، ثُمَّ سيطالبني باليمين وما تأخذ شيئًا.

لكن بدلًا من أن نُعرِض أنفسنا لهذا تعال نصطلح، فهنا الصُلح خير بشرط: أن يكون المُدعي يعتقد: أن له حقًا، وأن يكون المُدعى عليه يعتقد: أنه ليس عليه حق، أَمَّا إِذَا كان يعرف أن عليه حقًا ويعرف أنها عشرة آلاف لكن أراد أن ينزلها بالصُلح ما يجوز.

وكذلك في صُلحِ الإقرار؛ قَالَ له: الأرض الَّتِي عليها بيتك لي، قَالَ: نعم لك، ولكن قد بنيت عليها أنا، والآن لو ذهبت إِلَىٰ القاضي سيجعلني أهدم ما بنيت وخسارة عَلَىٰ وهكذا، فتعال نصطلح كم تريد؟ أعطيك كذا وتترك لي الأرض، فاصطلحا عَلَىٰ هٰذَا فالصُلح خير، فالإسلام نصب القاضي حاكمًا وشرَع الصُلح من دون ذلك تحقيقًا للمصالح ودرئًا للمفاسد.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فكل طريق لا ظلم فيه ولا يدخل العباد في معصية الله، وهو نافع لهم، فقد حث عليه إِذَا كان وسيلة إِلَىٰ فصل الخصومات وقطع المشاجرات.

(الشرح)

هٰذَا لا يعني: أن يُحكَم بغير شرع الله، وَإِنَّمَا المقصود: أنه إِذَا كان الأمر دون المحاكِم ودون القضاء فأي طريقٍ صحيح يحُل المُشكلة ويقطع النِزاع ويحفظ الحقوق الشَرعَ يُقِره، أَمَّا إِذَا وصل الأمر إِلَىٰ القضاء فَلَا بُدَّ من الحُكم بشرع الله إن لم يصطلح الخصمان قبل أن يُحكَم عَلَىٰ أَحَدُهُمَا؛ لأن بعض الناس جاء إِلَىٰ جملة: وحيث ما وُجِد العدل فتم شرع الله، الَّتِي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَالَ: بأي قضاء حُكِم ما دام أنه يُحقِق العدل أنه يجوز، ولو كان يخالف شرع الله.

نقول: لا، الَّذِي يخالف شرع الله ما يحقق العدل، حَتَّىٰ لو ظن الناس أنه يحقق العدل، وَإِنَّمَا المقصود: أنه إِذَا حُكِم بشرع الله وُجِد العدل، وإذا كان الأمر قبل القضاء فما يحقق العدل والخير، ويدفع النِزاع يُقِره الشَرعَ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وساوىٰ في هٰذَا بين القوي والضعيف، والرئيس والمرؤوس في جميع الحقوق وأرضىٰ الخصوم بسلوك طرق العدل وعدم الحيف.

(الشرح)

الناس في الإسلام سواسية عند القاضي، الكبير كالصغير، والأمير كأقل الرعية، وَهٰذَا من تمام العدل في الإسلام.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة، وبقي ستة أمثلة بحمد الله نُتِمها بعد صلاة العصر إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، نترك فرصة للإخوة ليرتاحوا إِلَىٰ صلاة العصر، وفق الله الجميع وتقبل الله من الجميع، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد.

المجلس (٦)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ رسول رب العالمين، وسيد الناس أَجْمَعِيْنَ مُحَمَّد بن عبد الله الأمين، ورَضِيَ اللهُ عن آلِهِ وَأَصْحَابِهِ حملة الدين.

أَمَّا بعد؛

فنواصل شرحنا لرسالة **(الدُّرة المختصرة في محاسِن الدين الإسلامي)** للإمام المُفسِر، الفقيه، الأصولي، المتفنن: عبد الرحمن بن ناصر بن سعِدي السَعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وسائر علماء المسلمين، وقد شرحنا بحمد الله عَزَّوَجَلَّ معظم هٰذِه الرسالة، ونُتِم شرحها في هٰذَا المجلس إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فيتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

❑ **قَالَ الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: المِثال السَّادِس عشر: ما جاءت به الشريعة من الأمر بالشورىٰ والثناء عَلَىٰ المؤمنين بأن جميع أمورهم الدينية والدنيوية الداخلية والخارجية شورىٰ بينهم.**

(الشرح)

☜ **هذَا المِثال السَّادِس عشر من الكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي محاسِن في ذاتها.**

وهو: أن الإسلام شرع الشورى، وألا يستبد الإنسان برأيه، بل يطلب الرأي ممَن هو أهلٌ لذلك في الأمور الَّتِي تدخلها الآراء، والشورى فيها: تطيبٌ لقلوب الناس، وطلبٌ لخير الأمرين، وهي من الأناة الَّتِي يُحبها الله، فالأناة من الرحمن، والعجلة من الشيطان كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وفيها: ضم العقول الصحيحة الراجحة إِلَىٰ بعضها، وفيها: تقليل الخطأ والبعد عن الندم كما قيل: ما ندِم مَن استشار، وكما قَالَ القائل: **"إِذَا بلغ الرأي المشورة فاستعِن برأي نصيحٍ أَوْ نصيحة حازم، ولا تحسَب الشورى عليك غضاضةً فإن الخوافي قوةٌ للقوادم"**.

✍ **وَقَالَ الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: الرجال ثلاثة: رجلٌ تامٌ، ونِصف رجل، ولا شيء.**

✓ **أَمَّا الرجل التام فهو:** الَّذِي له رأيٌ ويستشير؛ عاقل وله رأي ومع ذلك يستشير أهل العقول والدين، والمروءة.

✓ **ونِصف رجل وهو:** الَّذِي ليس له رأي ويستشير؛ هو ضعيف الرأي لكنه يستشير غيره.

✓ **ولا شيء وهو:** الَّذِي ليس له رأيٌ ولا يستشير.

الشورى شأنها في ديننا عظيم، فقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بها النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وإذا كان أعظم إنسانٍ وأشرف إنسانٍ، وأكمَل إنسانٍ يؤمر بالشورى، فمَن دونه من باب أولى، فلا عظيم عَلَىٰ الشورى، والشورى من صفات المؤمنين، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

فالمؤمن من صفاته: أنه يستشير غيره ممَن كان أهلًا لذلك، وذلك عن الحاجة، إِذَا كانت الأمور يدخلها الآراء، ويدخلها الاجتهاد، أَمَّا الأمر الَّذِي فيه نصٌ فلا شورى فيه، والأمر الَّذِي ظهر خيره وأُمِن شره لا شورى فيه، وَإِنَّمَا الشورى: عند ما تشتبه الأمور في الأمور الَّتِي تدخلها الآراء، وقد كان النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يستشير أصحابه؛ فاستشارهم في عزوة بدرٍ واستشارهم في عزوة أُحدٍ، واستشارهم في عزوة الخندق.

وكان الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم يستشيرون رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حَتَّىٰ أن المرأة كانت تستشير رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في زواجها كما في قصة: فاطمة بنت قيس الَّتِي خطبها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبو الجَهم، فاستشارت رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَمَّا معاوية فصُعلوقٌ لا مال له، وَأَمَّا أبو جهمٍ فلا يضع العصى عن عاتِقه، وفي رواية: «وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، وَلَكِنْ أُسَامَةُ».

الشاهد: أن الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم كانوا يستشيرون رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمورهم، فمشروعٌ للمؤمن: أن يستشير في الأمور الَّتِي تحتاج إِلَىٰ استشاره، ومن محاسِن الإسلام في هٰذَا: أنه جعل الاستشارة أمانة، فالمُستشار يَحرُم عليه أن ينشر خبر من استشاره، إِلَّا إِذَا أذِن له؛ لأن المُستشار مؤتمَن.

وما دام أنه مؤتمَن فإنه يلزمه أمران:

❶ **الأمر الأول:** أن ينصح بصدقٍ بما يراه خيرًا.

ولذلك أُبيح له أن يذكر غيره في غيبته بما يسوئه، ولم يكن هٰذَا من الغيبة؛ لأنه من باب النصيحة.

❷ **والأمر الثاني:** ألا يُفشي سِر مَن استشاره، فيجب عليه أن يحفظه، وأن يكتمه، وألا يُفشيه، وبهذا يظهر لك يا عبد الله: حُسن هٰذَا الدين وكماله، وبهاءُه، وجماله، وأنه جاء الناس بما يُصلِحهم ويدفع الفساد عنهم، فدلهم عَلَىٰ الشورى الَّتِي هي من طُرِق تحصيل ذلك.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهٰذَا الأصل الكبير قد أجمع العُقلاء عَلَىٰ استحسانه، وعَلَىٰ أنه هو السبب الوحيد في سلوك أصلح الأحوال وأحسن الوسائل لحصول المقاصد وإصابة الصواب، وسلوك طُرق العدل.**

(الشرح)

نعم وذلك عند الحاجة، بأن يشتبه الأمر عَلَىٰ الإنسان، أَوْ يكون الأمر مِمَّا يدخله الرأي، أَمَّا ما لا يدخله الرأي فلا تجوز فيه الاستشارة، ما يجوز مثلًا: أن تستشير في أن أصلي مع الجماعة ولا أصلي في البيت، يجب عَلَىٰ الرجل أن يصلي مع الجماعة، وما ظهر خيره لا يُستشار فيه.

يعني مثلًا: لا تستشير هل أطلب العِلم ولا ما أطلب العِلم، طلب العِلم خيره ظاهر بنصوص الكتاب وَالسُّنَّة وإن لم يكن فرضًا، فكيف إِذَا كان فرضًا، فلا استشارة فيه، وَإِنَّمَا الاستشارة عند قيام الحاجة، فهي السبب الأعظم لإصابة الخير، ولتقليل الخطأ وللسلامة من الندم.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنه أرقىٰ للأمم العاملة عليه في تحصيل كل خير وصلاح، وكلما ازدادت معارف الناس واتسعت أفكارهم عرفوا شدة الحاجة لهذا ومقداره.

(الشرح)

ولذلك كان أكثر الناس إعمالًا للشورى هم: صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَا شَكَّ أن: أرقى الأُمَم وأشرف الأُمَم هم: صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابة هم أفضل البشر بعد الأنبياء عليهم السلام، فهم: أهل الرُقي، ولذلك كانوا أكثر الناس إعمالًا للشورى، ولما أعملوا الشورى حصلوا الخير وكانوا مضرب المثل في كل خير.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولما كان المسلمون قد طبَّقوا هٰذَا الأصل في صدر الإسلام عَلَىٰ أمورهم الدينية والدنيوية كانت الأمور مستقيمة والأحوال في رُقِيٍّ وازدياد، فلما انحرفوا عن هٰذَا الأصل ما زالوا في انحطاط في دينهم ودنياهم حَتَّىٰ وصلت بهم الحال إِلَىٰ ما ترىٰ، فلو راجعوا دينهم في هٰذَا الأصل وغيره لأفلحوا ونجحوا.

(الشرح)

لَا شَكَّ أن المسلمين لا يزال فيهم خير، وأن المسلمين عَلَىٰ مر العصور منهم طائفةٌ منصورة، وفِرقةٌ ناجية تتمسك بالخير ويظهر فيها الخير، يتسع أمرها حينًا فتشمل أعدادًا كبيرة، ويضيق حينًا، لكن هٰذِه الأُمَّة لا تفقد الخير بالكلية بحمد الله، وَهٰذَا من فضل الله عَلَىٰ أُمة مُحَمَّد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن لما أهمَل كثيرٌ من المسلمين ما في القرآن وما في السُّنَّة ولم يسيروا عَلَىٰ خُطى الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم كثُر الجهل، وفشت البِدع، وقل الخير.

ونحن نوقِن أن الخير لا يفشوا ولا يظهر إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بكتاب الله وسُنةِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والبُعدِ عن البِدَع، والحِرص عَلَىٰ السر عَلَىٰ منهج صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك الحرص عَلَىٰ الشورى كما كان الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم يفعلون.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: المثال السَّابِع عشر: أنّ هذه الشريعة جاءت بإصلاح الدين وإصلاح الدنيا، والجمع بين مصلحة الروح والجسد.

(الشرح)

☜ هذَا المثال السَّابِع عشر للكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي من محاسِن الإسلام.

وهو: أنه دينٌ شاملٌ يُصلِح الدنيا وَالآخَرة، ليس في الإسلام دروشةٌ كما يَزعُم المُبتدِعة؛ وأن الإسلام جاء لترك الدنيا والدروشة، حَتَّىٰ أنك تجد من شيوخهم من يترك غسل ثيابه وغسل ملابسه حَتَّىٰ ترى الوسخ عالقًا بثيابه وَحَتَّىٰ تشُم الرائحة الخبيثة منه من بعيد، ويزعمون أنهم أولياء الله، وأنهم شيوخ، وأنهم أهل الطريق المسلوك إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذَا دجلٌ وكذِبٌ، خير مَن عبد الله مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان أنظف الناس، وكان أطيب الناس، وكان حريصًا عَلَىٰ نظافته صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يعمل في دنياه ويحرِص عَلَىٰ صلاح دنياه، الإسلام لم يُهمِل الدنيا، ولكن جعل الدنيا طريقًا للآخرة، فإذا تعارضت الدنيا والأخرة قُدِمت الآخرة، وَإِلَّا فالأصل: الجمع بين إصلاح الدنيا وإصلاح الآخرة.

الإسلام شرع الإكثار من النافعات، والتقليل من المُباحات، من الإيمان: أن تُكثِر من الأمور النافعة، وأن تُقلِل من المُباحات، لا أن تتركها وتُهمِلها، لم يهتم الإسلام بالتعبد ويُهمِل الدنيا، بل جاء بالعبادة في أكمل صورها، وجائنا بما يُصلِح دنيانا في المعاملات وغيرها، الإسلام جمع بين الأمرين، فدلنا ديننا عَلَىٰ كل خيرٍ في ديننا ودنيانا.

علمنا نَبِيُّنَا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل شيء، حَتَّىٰ قَالَ رجلٌ لسلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ: علمكم نبيكم كل شيءٍ حَتَّىٰ الخِراءة؟ قَالَ: أجل، فنبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دلنا عَلَىٰ كل خير، وكان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو إمامنا وقدوتنا وأُسوتُنا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي».

أي: اللّٰهم أصلِح لي ديني الَّذِي يعصمني من النَّار، وغضب الجبار، ومن كل شر، وأصلح لي دنياي الَّتِي فيها معاشي، فاحفظ لي ما أحتاج إليه في الدنيا، واكفني شر فساده، وأصلِح لي آخرتي الَّتِي فيها معادي بتوفيقي للصالحات، والطاعات، والمسابقة إِلَىٰ الخيرات.

قَالَ الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: هٰذَا الحديث من جوامع الكلِم لشموله لصلاح الدين والدنيا، وَحَتَّىٰ الشَرعَ عَلَىٰ قوة الإيمان، وقوة العِلم، وقوة الجسد، كلها يحبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» رواه مسلمٌ في الصحيح.

المؤمن القوي في إيمانه، المؤمن القوي في جسده، المؤمن القوي في عِلمه خيرٌ وأحب إِلَىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير ما دام أن الإيمان موجود فالخير ليس بمفقود، لكن كلما قوي الإنسان في عِلمه وإيمانه وَهٰذَا أمرٌ ديني، وفي جسده وَهٰذَا أمرٌ دنيوي كان خيرًا وأحب إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالإسلام جمع بين: مصالح الدنيا ومصالح الآخرة، وحث الناس عَلَىٰ تحصيلها.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:** وَهٰذَا الأصل في الكتاب والسنة منه شيءٌ كثيرٌ، يحث الله ورسوله عَلَىٰ القيام بالأمرين، وأنّ كل واحد منهما ممد للآخر ومعينٌ عليه.

(الشرح)

فالإنسان يتذكر دائمًا الآخرة، ولا ينسى نصيبه من الدنيا، فالآخرة هو عَلَىٰ ذِكرٍ منها دائمًا لا يغفل ولا يلهو عنها، ولا ينسى نصيبه من الدنيا، فيجمع بين الأمرين مقدِمًا الآخرة في نظره.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:** والله تَعَالَىٰ خلق الخلق لعبادته والقيام بحقوقه وأدرَّ عليهم الأرزاق ونوَّع لهم أسباب الرزق وطرق المعيشة؛ ليستعينوا بذلك عَلَىٰ عبادته، وليكون ذلك قيامًا لداخليتهم وخارجيتهم، ولم يأمر بتغذية الروح وحدها وإهمال الجسد.

(الشرح)

الروح تُغذى والجسد يُغذى، غذاء الروح: العِلم، ومِداده: القرآن وَالسُّنَّة، فالله أنزل الكتاب وَالسُّنَّة عَلَىٰ رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فالكل وحيٌ من الله، وفيهما غذاء الأرواح، ورزقنا وخلق لنا ما في الأرض وفي ذلك غذاء الجسد، فالله رزقنا هٰذَا وَهٰذَا.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولم يأمر بتغذية الروح وحدها وإهمال الجسد، كما أنه نهىٰ عن الاشتغال باللذات والشهوات، وتقوية مصالح القلب والروح، ويتضح هذا بأصل آخر، وَهٰذَا هو المِثال الثَّامِن عشر.

(الشرح)

ولم يأمر بتغذية الروح وحدها وإهمال الجسد، كما أنه نهى عن الاشتغال باللذات والشهوات؛ لأنها تُضعِف الدين والدنيا، الاشتغال باللذات والشهوات وإطلاق العَنان للنَفس في هٰذَا يُضعِف ديانة الإنسان، ويُضعِف دنياه أيضًا فيُهمِل دنياه، ولا يُحصِل خيره في الدنيا، ولعل هنالك سَقط.

وأمر بتقوية مصالح القلب والروح؛ لأنه ما نهى عن تقوية مصالح القلب والروح فلم يُهمِل الدنيا وأمر بتقوية مصالح القلب والروح.

(المتن)

❑ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ويتضح هذا بأصل آخر، وهو هٰذَا المِثال الثَّامِن عشر: أن الشرع جعل العلم والدين والولاية والحكم متآزرات متعاضدات.

(الشرح)

☜ هذَا المثال الثَّامِن عشر للكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي من محاسِن الإسلام.

وهو: أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الارتباط شرعًا بين الحاكِم والعلماء، فينبغي عَلَىٰ الحاكِم بل يجب عليه: أن يُقرِب العلماء، وأن يستشير العلماء، وينبغي للعلماء ويجب عليهم: أن يكونوا قريبين من الحاكِم يظهرون توقيره وفضله وينصحونه بما يليق بمقامه ولا يُذهِب هيبته عند الناس، ويأمرون الناس بالقيام بحقوقه، والسمع والطاعة له في غير معصية الله.

وبهذا يكون الخير، فالعالِم الحاكِم يرجع إِلَىٰ العلماء ويستشيرهم فيما يُحتاج إليهم فيه، والعلماء يعرفون للحاكِم فضله وقدره الشرعي، وينصحونه وينصحون له؛ ينصحونه: بما دلت عليه السُّنَّة، لا يُظهِرون البطولات أمام الناس وينشرون المقاطع: يا فلان أتقي الله في الأُمة، يا فلان أتقي الله في بلادنا.

ما هٰذَا من الطريق المشروع، وما هٰذَا طريق صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وما هٰذَا الطريق الَّذِي دل عليه النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، العالِم الناصح لا يريد أن يظهر أَمَّام الناس أنه بطَل، وَإِنَّمَا يريد أن يدل عَلَىٰ

الخير، ويحرِص عَلَىٰ بقاء هيبة الحاكِم، وعَلَىٰ عدم الغض منها بأن يكون نُصحه للحاكِم فيما بينه وبين الحاكِم.

وكذلك العالِم ينصح الأُمة، ومن نُصحِه للأُمة: أن يأمرهم بالقيام بحق الحاكِم بطاعته في غير معصية الله، وعدم الخروج عليه، وَهٰذَا ما يسير عليه العلماء الكِبار، وقد رأيت هٰذَا بأُم عيني، علمائنا ينصحون ولا يعلنون لأن هٰذَا هو الشَرعَ، وولاة أمرنا يقبلون.

✍ **وأذكر لكم أمرين:**

الأمر الأول: كنا مع شيخنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في خيمته الخاصة في مِنى، وكنا ثلاثة أشخاص في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة فقيل: إن الأمير نايف رَحِمَهُ اللَّهُ قادم لزيارة الشيخ ومُعايدته، فاستأذنا فَقَالَ الشيخ: لا أجلسوا فدخل الأمير رَحِمَهُ اللَّهُ وجلس ودار الحديث عن الزِحام وكذا، فَقَالَ الأمير نايف رَحِمَهُ اللَّهُ: النِساء يوكِلن في الرمي، فَقَالَ الشيخ ابن باز: لا يجوز، المرأة ترمي بنفسها ما دامت مستطيعة لكن تختار الأوقات، ولو في اَللَّيْل.

والأمر الثاني: كان هناك رجلٌ مشهورٌ في الرياض دائمًا يذهب إِلَىٰ الملك سلمان حَفِظَهُ اللهُ عندما كان أميرًا للرياض ينصحه فلما مات هٰذَا الرجل ذهب الأمير سلمان فكان في وقتها أميرًا فذهب إِلَىٰ العزاء وعزى أبنائه، وَقَالَ: هٰذَا الرجل يحبنا ولو لم يكن يحبنا ما نصحنا، لكن النصيحة تكون بطريقها.

فإذا تآزر العلماء والحُكام قويت الأُمَّة وقويت البِلاد، أَمَّا إِذَا صار العلماء ينابذون الحاكِم، ويتكلمون عليه عَلَىٰ المنابِر، وأقصد بالعلماء: مَن يراهم الناس علماء، أَوْ كان الحاكِم بعيدًا عن العلماء فإن هٰذَا طريق ضعف وطريق شر، ولا يجلب للناس إِلَّا الفساد في دينهم ودنياهم.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فالعِلم والدين يقوِّم الولايات وتنبني عليه السلطة والأحكام، والولايات كلها مقيدة بالعلم والدين، الذي هو الحِكمة، وهو الصراط المستقيم.**

(الشرح)

يعني: الحاكِم إِذَا أتاه الله القوة بالسلطة فإنه يحتاج إِلَىٰ العِلم، والعلماء سُرُج ينبغي عليهم أن يقوموا بهذا الدور العظيم، والولاية تقوى بالعِلم والعلماء، ولذلك يا إخوة أهل الباطل يستهدفون العلماء الربانيين

والحُكام، فيسُبون العلماء ويسُبون الحُكام؛ لأنهم يعرفون أنهم إن فعلوا أضعفوا الأُمَّة، وأضعف البلاد، ولانت لهم الأمور ليصلوا إِلَىٰ مُبتغاهم الفاسِد، نعوذ بالله من سوء الحل.

(المتن)

والولايات كلها مقيدة بالعلم والدين، الذي هو الحِكمة، وهو الصراط المستقيم، وهو الصلاح والفلاح والنجاح، فحيث كان الدين والسلطة مقترنين متساعدين فإن الأمور تصلح والأحوال تستقيم، وحيث فُصِل أَحَدُهُمَا عن الآخر اختلَّ النظام وفقد الصلاح والإصلاح ووقعت الفُرقة وتباعدت القلوب وأخذ أمر الناس في الانحطاط.

(الشرح)

مقصود الشيء: أنه يؤيد هٰذَا أن العِلم الشرعي علمٌ نفعٌ صحيح، لا يخالف العقل -كَمَا تَقَدَّمَ-، فالحاكِم بحاجةٍ إِلَىٰ العلماء الربانيين؛ لأنهم يحملون العِلم الصحيح النافع الَّذِي ينفع البلاد والعباد بِإِذْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:** يؤيد هذا: أن العلوم مهما اتسعت والمعارف مهما تنوعت والاختراعات مهما عظمت وكثرت، فإنه لم يرد منها شيء ينافي ما دل عليه القرآن، ولا يناقض ما جاءت به الشريعة، فالشرع لا يأتي بما تحيله العقول وَإِنَّمَا يأتي بما تشهد العقول الصحيحة بحسنه أَوْ بما لا يهتدي العقل إِلَىٰ معرفته جملة أو تفصيلًا.

وَهٰذَا ينبغي أن يكون مثالًا آخر: وهو المثال التَّاسِع عشر: أن الشَرعَ لا يأتي بما تحيله العقول ولا بما ينقضه العِلم الصحيح.

(الشرح)

☜ **هذَا المثال التَّاسِع عشر للكليات الَّتِي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي من محاسِن الإسلام.**

وهو: أن كل ما في الشَرعَ جملةً وتفصيلًا تقبله العقول الصحيحة وتأنس له وبه، فليس في القرآن ولا في صحيح السُّنَّة ما ترده العقول، فما جاءت الشريعة بمحالات العقول ولا بما يدفعه العِلم الصحيح الثابت، وقد تقدم شيءٌ من هٰذَا وعلقنا عليه.

لكن مقصود الشيخ: أن يبين في هٰذَا المثال أن من كمال الدين وبهاء الدين وجمال الدين: أنه ليس في الدين شيءٌ لا يقبله أهل العقول الصحيحة المتجردة، وَهٰذَا أمرٌ واضحٌ بَيِّنٌ.

وهو يدل عَلَىٰ: أن الدين من عند الله، فإنه لا يمكن أن يكون بهذا الجمال وَهٰذَا الكمال وَهٰذَا الإحكام وَهٰذَا الإتقان إِلَّا لأنه من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:** وهذا من أكبر الأدلة عَلَىٰ أن ما عند الله مُحكمٌ ثابتٌ صالحٌ لكل زمانٍ ومكان، وَهٰذِه الجُمل المختصرة.

(الشرح)

"وَهٰذِه الجُمل المختصرة"، ما المقصود بها؟ كل ما تقدم في الأمثلة، فإنه ذُكِر عَلَىٰ سبيل الاختصار للدلالة عَلَىٰ ما ورائه، ولتنزيله عَلَىٰ كثيرٍ من الأمثلة.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:** وهذه الجمل المختصرة تعرف علىٰ وجه التفصيل بالتتبع والاستقراء لجميع الحوادث الكونية وحوادث علوم الاجتماع وتطبيق ذلك إِذَا كان من الحقائق الصحيحة عَلَىٰ ما جاء به الشرع، فبذلك يعرف أنه تبيان لكل شيء، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إِلَّا أحصاها.

(الشرح)

وَهٰذَا ما أتضح مِمَّا تقدم بيانه، ففي القرآن وَالسُّنَّة كل خير، إِمَّا عَلَىٰ سبيل التفصيل للخير، وَإِمَّا بالدلالة عَلَىٰ الطريق الَّتِي يعرَف بها الخير.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: المِثال العشرون: نظرة مجملة في فتوحات الإسلام المتسعة الخارقة للعوائد، ثم لبقائه محترما مع تكالُب الأعداء ومقاوماتهم العنيفة ومواقفهم المعروفة معه.

(الشرح)

☜ هذَا المِثال العشرون للكليات الَّتي فيها محاسِن الإسلام؛ وهي من محاسِن الإسلام، وفيها محاسِن الإسلام.

وهو: المتكين العظيم لهذا الدين، فَهذَا الدين مُكِن له في الأرض؛ مُكِن له بتمكين المُلك، وتمكين الدين، وانظر رعاك الله: كيف تغير حال العرب بالإسلام، فانتقلوا من الجهل إِلَىٰ العِلم، ومن الضعف إِلَىٰ القوة، ومن الفُرقة إِلَىٰ الاجتماع، ثُمَّ انظر: كيف تغيرت حال الناس في الأرض كلها بهذا الدين.

وانظر: إِلَىٰ قَبول أغلب الناس لهذا الدين إِذَا علموا به، وزال خوفهم من الَّذِينَ يتسلطون عليهم ويمنعونهم من اعتناق الإسلام، فهو دينٌ مؤيدٌ من الله، مُحالٌ أن يكون هذَا التمكين الواسع وَهذَا التغيير الكامل أن يكون بقوةٍ من البشر، لا والله إِنَّمَا هو تمكينٌ من الله.

فمن كمال هذَا الدين وجمال هذَا الدين: أن الله عَزَّوَجَلَّ مكنه، ومكن لأهله كما في قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

لما عبد الصحابة ربهم وعَظُم توحيدهم مَكن الله لهم واستخلفهم في الأرض، وبدل خوفهم أمنًا، وضعفهم قوة، وهكذا كل مَن دعا إِلَىٰ الله عَلَىٰ طريقة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعا إِلَىٰ التوحيد ونهى عن الشِّرْك، ودعا إِلَىٰ السُّنَّة ونهى عن البِدعة، ودعا إِلَىٰ الخير ونهى عن الشر إِنَّمَا هو ساعٍ في خير الأُمَّة وقوة الأُمَّة وتمكين الأُمَّة.

لا تُمكَن الأُمَّة بالأناشيد، ولا تُمكَن الأُمَّة بالعنتريات، ولا تُمكَن الأُمَّة بالتلاعب بعواطف الأُمَّة بقضايا الأُمَّة، وَإِنَّمَا تُمكَن الأُمَّة بالتوحيد، بِالسُّنَّةِ، بالخير، إِذَا اجتمع الناس عَلَىٰ الخير مع توحيدٍ وسُنة يُمكَن للأُمَّةِ ويظهر خيرها، وتَعظُم قوتها، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وَقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وأخبر النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أن هٰذَا الدين سيُمكَن له في الأرض كلها؛ فَقَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»؛ يعني: بكل بُقعة عَلَىٰ وجه الأرض، كل بُقعة تُشرِق عليها الشَّمْس ويظهر فيها القمر سيبلغها الإسلام.

«لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ»؛ يعني: لا يترك الله بيتًا في بادية ولا بيتًا في مدينة إِلَّا أدخله الإسلام، رواه الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح، مع بقاء هٰذَا الدين، فالدين محفوظ، والقرآن محفوظٌ في الصدور، ومحفوظٌ في المصاحف، لو أخطأ الإمام وهو يقرأ لرد عليه الناس حَتَّىٰ الصِغار.

مع أنه بالمناسبة ونحن نُقبِل عَلَىٰ رمضان ليس مشروعًا لِمَن لا يسمعه الإمام أن يرد عَلَىٰ الإمام، أنت في هٰذِه الصفوف المتأخرة والإمام في مقدمة المسجد وترد عَلَىٰ الإمام فلا فائدة من هٰذَا، إِلَّا أن تُعلِم الناس أنك تحفظ، فَهٰذَا ليس مشرعًا، فلا ينبغي لِمَن كان الإمام لا يسمعه أن يرد عَلَىٰ الإمام.

لكن الشاهد: أن القرآن محفوظ يحفظه صِغارٌ ويحفظ كِبار، ومحفوظٌ في المُصحف، وسُنة النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قيد الله لها رجالًا فحفظوها ونقدوا ما يُروى مِمَّا ليس منها، فميزوا الصحيح من الضعيف، حَتَّىٰ أن الواحد منهم كانت تُقلَب له الأسانيد عَلَىٰ المتون، السنَد صحيح والمتن صحيح، لكن يُقلَب له السنَد فيُركَب السنَد عَلَىٰ متن ليس له فيتنبه ويرد السنَد إِلَىٰ متنه، ويرد المتن إِلَىٰ سنده.

وكان بعضهم يُقال له: حدثتنا بكذا ويُروى عشرون حديثًا ويُدخل فيها حديث واحد ليس من حديثه، فيُخرِجه ويقول هٰذَا ليس من حديثه، إِلَىٰ أن دونك السُّنَّة في دواوين السُّنَّة في عهدٍ قريب من النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فبعض الأحاديث ثلاثيات بين المُدون وَالنَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثلاثة ما غاية إتقانهم وغاية حِفظهم حُفِظَت السُّنَّة بحمد الله.

ولا زلنا إِلَىٰ اليوم نقرأ القرآن كأننا سمعناه من رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونقرأ سنة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كأننا نسمعها من رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع كيد الأعداء، ووجود أمثالكم هو مِمَّا يُحفَظ

به الدين، وهو آية من آيات الله: أن هناك من المؤمنين من يُقبِل عَلَىٰ طلب العِلم لم تُلهيه الدنيا ولم تُلهيه الشواغل ولم ينجح أعداء الله في تنفيره من العِلم.

كل هٰذَا يدلك دلالة واضحة عَلَىٰ: كمال هٰذَا الدين، وعَلَىٰ جمال هٰذَا الدين، وعَلَىٰ أنه دينٌ من الله، فمن محاسنه: أن الله مكنه، وأن الله حفِظه، وصدق الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك أن من نظر إِلَىٰ منبع هذا الدين، وكيف أَلَّف جزيرة العرب عَلَىٰ افتراق قلوبها وكثرة ضغائنها وتعاديها، وكيف أَلَّفهم وجمع قاصيَهم لدانيهم، وأزال تلك العداوات، وأحل الأخوة الإيمانية محلها.**

(الشرح)

وَهٰذَا لا يمكن أن يكون من بشر، ولكن الله أَلَف بين قلوبهم، وَهٰذَا يدلك عَلَىٰ: أن هٰذَا الدين من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ اندفعوا في أقطار الأرض يفتحونها قُطْرًا قُطْرًا، وفي مقدمة هذه الأقطار أمة فارس والروم أقوىٰ الأُمَم وأعظمها مُلْكًا وأشدها قوةً وأكثرها عددًا وعُدَدًا، ففتحوهما وما وراءهما.**

(الشرح)

فتحوا البُلدان بما يُعلَم أنه ليس بقوة الإنسان، فإنه من المُحال أن يكون ذلك بقوة بشر ولكنه عون الله وتأييد الله وتمكين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ففتحوهما وما وراءهما بفضل دينهم وقوة إيمانهم ونصر الله ومعونته لهم، حَتَّىٰ وصل الإسلام مشارِق الأرض ومغارِبها، فصار هذا يُعدُّ من آيات الله وبراهين دينه ومعجزات نبيه، وبهذا دخل الخلق فيه أفواجًا ببصيرة وطمأنينة لا بقهر ولا إزعاج، فمن نظر نظرةً إجماليةً إِلَىٰ هٰذَا الأمر عرف أن هٰذَا هو الحق الذي لا يقوم له الباطل مهما عظمت قوته وتعاظمت سطوته، وهذا يعرف ببداهة العقول، ولا يرتاب فيه مُنصِف، وهو من الضروريات.

(الشرح)

ولذلك يا إخوة لا تخافوا من أعداء الدين عَلَىٰ الدين، ولكن خافوا من أنفسكم أن تُقصِروا أَوْ تفرِطوا، أَمَّا إن أعلينا راية الدين وتمسكنا بالقرآن قرأناه، وفهمناه، وعمِلنا به، ما جعلناه للمآثِم، ويوضع في السيارة ويوضع في نافذة البيت، لا بل قرأناه وفهمناه، وعمِلنا به، ولزِمنا السُّنَّة وتعلمناها، وأحببناها، وعمِلنا بها، والله لن يستطيع أحدٌ في الدنيا أن يُذهِب هٰذَا الدين أَوْ يضر هٰذَا الدين.

أعداء الدين كانوا أقوياء في صدر الأُمَّة ومع ذلك غُلِبوا، وهكذا كل عدوٍ للدين، إِنَّمَا نخشى من تقاعُسِنا وضعفنا وعدم بزلنا ما نستطيع لنفع أُمة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعظم ما تُنفع به أُمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: العِلم النافع البعيد عن العواطِف العواصِف، وعن المقاصد السَّيِّئَة، وَإِنَّمَا هو علمٌ بعاطفةٌ رشيدة، وعقلٍ صحيح يُقصد به وجه الله، ويُقصد به نفع أُمة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: بخلاف ما يقوله طائفة من كُتَّاب هٰذَا العصر الذين دفعهم الرضوخ الفكري إِلَىٰ مشايعة أعداء الإسلام، فزعموا أن انتشار الإسلام وفتوحه الخارقة للعادة مبني عَلَىٰ أمورٍ مادية محضة، حللوها بمزاعمهم الخاطئة، ويرجع تحليلها إِلَىٰ ضعف دولة الأكاسرة ودولة الرومان وقوة المادَّة في العرب، وَهٰذَا مجرد تصوره كافٍ في إبطاله.

(الشرح)

يعني بعض المخذولين قالوا: إن الفتوحات الإسلامية بسبب: أن دولة الروم ودولة فارس كانت في منتهى الضعف في وقتها، ولقوة العرب، ما نظروا إِلَىٰ الدين فجاءوا بالقومية الفاسدة الَّتِي لا خير فيها،

فوالله ما كان لقوة العرب وما كان لضعف الروم وفارس، بل كانوا أقوياء، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ قوى المؤمنين برومیهم وفارسيهم وعربيهم وحبشيهم ففتحوا الأرض، وفتحوا هٰذِه الفتوحات.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:** فأي قوة في العرب تؤهلهم لمقاومة أدنىٰ حكومة من الحكومات الصغيرة في ذلك الوقت؟ فضلًا عن الحكومات الكبيرة الضخمة، فضلًا عن مقاومة أضخم الأمم في وقتها عَلَىٰ الإطلاق وأقواها وأعظمها عددًا وعُدّةً في وقت واحد، حَتَّىٰ مزقوا الجميع كل مُمزَق، وحلت محل أحكام هؤلاء الملوك الجبابرة أحكام القرآن والدين العادلة، الَّتِي قبلها وتلقاها بالقبول كل منصف مريد للحق.

فهل يمكن تفسير هٰذَا الفتح المنتشر المتسع الأرجاء بتفوُّق العرب في الأمور المادية المحضة؟ وإنما يتكلم بهذا من يريد القدح في الدين الإسلامي أَوْ من راج عليهم كلام الأعداء من غير معرفةٍ للحقائق، ثُمَّ بقاء هٰذَا الدين عَلَىٰ توالي النكبات وتكالب الأعداء علىٰ مَحقِه وإبطاله بالكلية من آيات هٰذَا الدين وأنه دين الله الحق، فلو ساعدته قوة كافية ترد عنه عادية العادين وطغيان الطاغين لم يبق عَلَىٰ وجه الأرض دينٌ سِواه، ولقبِله الخلق من غير إكراه ولا إلزام.

(الشرح)

ولا إكراه في الدين ولا يُكره أحدٌ عَلَىٰ الدين، ولكن الدين يُبيَن للناس، والفتوحات، والغزوات، والمعارِك ما كانت لإكراه الناس عَلَىٰ الدين، لكن كانت لإيصال الدين إِلَىٰ الناس، ومَن عرف الدين قبِله، ومعني: لا إكراه في الدين؛ أن الدين لا يحتاج إِلَىٰ إكراه فالدين محبوب والدين حقٌ واضح، لكن شياطين الإنس والجِن تحاول الصد عنه.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولقبِله الخلق من غير إكراه ولا إلزام لأنه دين الحق ودين الفطرة ودين الصلاح والإصلاح، لكن تقصير أهله وضعفهم وتفرقهم وضغط أعدائهم عليهم هو الذي أوقف سيره، فلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

المِثال الحادي والعشرون: دين الإسلام مبنيٌ عَلَىٰ العقائد الصحيحةٍ النافعة.

(الشرح)

☜ **المِثال الحادي والعشرون مثالٌ جامعٌ لكل ما سبق، فهو مُلخصٌ لما سبق.**

وفيه بيان: أن الدين مبنيٌ عَلَىٰ الأدلة الصحيحة والبراهين السليمة، فليس فيه خُزعبلات، وما يُضاف إليه من الخُزعبلات والأقاصيص الفاسدة ليس منه، وَإِنَّمَا أحدثة المُبتدِعة، وَهٰذَا فيه -كَمَا قُلْنَا-: كمال الدين وبهاءه وجماله.

(المتن)

❑ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: دين الإسلام مبنيٌ عَلَىٰ العقائد الصحيحةٍ النافعة، وعَلَىٰ الأخلاق الكريمة المهذبة للأرواح والعقول، وعَلَىٰ الأعمال المصلحة للأحوال، وعَلَىٰ البراهين في أصوله وفروعه، وعَلَىٰ نبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين والمخلوقات وإخلاص الدين لله رب العالمين، وعَلَىٰ نبذ الخُرافات والخُزعبلات المنافية للحِس والعقل المُحيرة للفِكر، وعَلَىٰ الصلاح المطلق، وعَلَىٰ دفع كل شر وفساد، وعَلَىٰ العدل ورفع الظلم بكل طريق، وعَلَىٰ الحث عَلَىٰ الرُقي لأنواع الكمالات.

(الشرح)

وكل هٰذَا قد تقدم وبيناه بحمد الله.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهٰذِه الجُمل يطول تفصيلها، وكل من له أدنىٰ معرفة يهتدي إِلَىٰ تفصيلها عَلَىٰ وجه الوضوح والبيان الذي لا إشكال فيه، ولنقتصر عَلَىٰ هذا الكلام عَلَىٰ اختصاره فإنه يحتوي عَلَىٰ أصول وقواعد يُعرَف بها ما للإسلام من الكمال والعظمة والإصلاح الحقيقي لكل شيء، وبالله التوفيق.**

(الشرح)

وبهذا نكون قد ختمنا هٰذِه الرسالة العظيمة النافعة، القصيرة في مبناها العظيمة في معناها، الحاوية لكثيرٍ من الفوائد فنحمد الله عَزَّوَجَلَّ أن يسر لنا قراءتها ويسر لنا شرحها في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأسأل الله أن يتقبل من الشارِح والقارئ والسامِع، وأن يجعل هٰذَا العِلم نافعًا لنا، وأن يُكرِمنا جميعًا بصلاح اَلنِّيَّة وعلو الهِمة، وحُسن الطريق ولزوم منهج صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وأن يرزقنا الحياة الطيبة، وأن يبارك في أعمارنا عَلَىٰ طاعة، وأن يكفينا جميعًا والمسلمين شرور الفِتن ما ظهر منها وما بطَن، اللّٰهم أغفر لنا ولوالدينا ولأهلنا ولذُرياتنا ولأقارِبنا ولجيراننا ولأحبابنا ولأصدقائنا ولمَن أحبنا فيك وإن لم نعرفه، ولمَن أحببناه فيك يا رب العالمين، ولعُلمائنا، ولحُكامِنا، ولكل مسلمٍ ومسلمة، ولكل من زار مسجد النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

اللهم اغفر لنا أَجْمَعِيْنَ، وارحمنا أَجْمَعِيْنَ، يسر لي الله ولكم الخير وجعلنا من عبادة الصالحين،

وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد.